



كلية آداب قنا

قسم اجتماع

المشكلات الاجتماعية

الفرقة الرابعة اجتماع

آداب قنا

٢٠٢٢م/٢٠٢٣م

د. شرين احمد مصطفى

مدرس بقسم الاجتماع
جامعه جنوب الوادي

ا.د السيد عوض علي

استاذ بقسم الاجتماع
جامعه جنوب الوادي

الباب الأول

المدخل لدراسة المشكلات الاجتماعية

- ماهية المشكلة الاجتماعية.
- مراحل التفكير الاجتماعي في المشكلات الاجتماعية.
- الدراسة السوسولوجية للمشكلات الاجتماعية.

الفصل الأول

ماهية المشكلة الاجتماعية

- مقدمة.
- تعريف المشكلة الاجتماعية.
- عناصر المشكلة الاجتماعية.
- نموذج الرأي العام ونموذج قيم المعرفة.
- الشرط الذاتي والموضوعي للمشكلة الاجتماعية.
- المشاكل الطبيعية والمشاكل الاجتماعية.
- المشاكل الشخصية والمشاكل الاجتماعية.
- المشكلات السوسولوجية والمشكلات الاجتماعية.
- المشكلات المجتمعية والمشكلات الاجتماعية.

ماهية المشكلة الاجتماعية(*)

مقدمة

الإنسان كائن اجتماعية Social being فهو يستطيع العيش بمعزل عن غيره من أفراد جنسه ترعاه فى طفولته، وتنشئة فى مرحلة الصبا، وتتعاون معه فى مرحلة الشباب وما يليها من مراحل، فأدم عليه السلام قد نزل إلى هذه الأرض ليعيش فى أسرة مكونة من زوجته وأولاده، فهو عاش فى جماعة، لذا فإن عزل الإنسان سواء بالسجن أو الحبس يعتبر من أقصى أنواع العقاب الذي قد يؤدي بالإنسان إلى الخبل أو الجنون، فالجماعة بالنسبة للإنسان كالماء بالنسبة للأسماك أو الحيوانات المائية.

وقد يشعر كل منا بأن الأمور تسير على ما يرام أي سيرًا حسنًا عاديًا، وقد تسعر فى أحيان أخرى بعدم الارتياح والتألم، ومن ثم فإن العقل الجمعي والطبقي المستتير فى المجتمع مطالب بضرورة البحث عن أسباب هذه الحالة حتى يمكن القضاء عليها، هذه الحالة نطلق عليها مشكلة اجتماعية^(١).

وقد تؤمن بعض المجتمعات بأن المشكلات والصعوبات التي تواجهها هى أمور حتمية وغير قابلة للتغير فهي إرادة الله وأن السلوك يجب أن يكون مجسدًا على أساس هذه المعتقدات والقيم^(٢)، فالمشكلات قد تنشأ دون أن ينتبه لها المجتمع وتتطور تلك المشكلات وتتضخم، وقد يكتشفها أفراد مجتمع آخر أو الطبقة المستتيرة فيه بما لها من ثقافة أكثر عمقًا ودراية، وكل مجتمع له نظمه المتعددة الخاصة به والتي تختلف بشكل ما عن نظم مجتمع آخر، بل وتختلف هذه النظم فى نفس المجتمع من فترة إلى أخرى

* قام بإعداد هذا الفصل أد / السيد عوض علي.

١- حسن سلطان: مشكلات المجتمع المصري، ط٢، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٥، ص.ص ٢-٣.

٢- J. Chltambers Introductory Rural Sociology, Bombay, Wiley Kestera Limited , ١٩٩٣, p٣٤٥.

تحت تأثير التغيير، فالمجتمعات دائمة التغيير، وقد يحدث اختلال في هذه النظم يترتب عليه أن تبدأ في الظهور علامات التفكك والانحلال وهو ما نعبر عنه بالمشكلات الاجتماعية.

فهناك حالات عديدة في المجتمع تم وصفها باعتبارها مشكلات المجتمع أو مشكلات اجتماعية حيث أن هناك تباينًا وتغايرًا في هذه المشكلات التي تكون في فترة معينة من الزمن ليست بالضرورة أن تصبح مشكلات فترة أخرى، فمشكلات المجتمع ينبغي أن تكون متواصلة ومستمرة، وتتوارى وتتخفى أو تقل وتتناقص مع التغيير الحادث في المجتمع ويجب مراعاة أن الحالات التي تم تحديدها باعتبارها مشكلة اجتماعية في المجتمع قد لا تجد قبو كاملاً أو موافقة تامة من جميع أعضاء المجتمع، وبعد في الواقع مثل هذا الاختلاف في الرأي هو المؤدي إلى خلق المشكلات الاجتماعية^(١).

ولنا هنا أن نتساءل عن ماهية المشكلة الاجتماعية؟ وما هي العناصر العامة التي يجب توافرها في تعريف حالة معينة أو ظرف معين باعتباره مشكلة اجتماعية؟

المشكلة الاجتماعية Social Problem تحتوي على كلمتين مشكلة Problem وهي تعني سلوك أو موقف أو وضع غير مرغوب فيه ومتكرر الحدوث، وتعني أيضاً وجود عائق أمام الطريقة المألوفة والمقبولة والمرغوبة للوصول إلى الأشياء والأهداف الاجتماعية، وأما كلمة اجتماعية Social فهي تشير إلى أن هذا السلوك أو الموقف يدركه عدد كبير من أفراد المجتمع، وهذه الكلمة تدل على المظهر الاجتماعي أو الجمعي في المجتمع، وتعبر عن التفاعل المباشر والعلاقات المتبادلة بين أفراد المجتمع.

فالمشكلة ما هي إلا انحراف عن معايير وقيم المجتمع، فالمجتمع وحده هو الذي يحدد المشكلة، وتوجد المشكلة حينما يكون هناك تناقض بين مثل المجتمع وقيمه من ناحية والواقع الفعلي لهذا المجتمع من ناحية أخرى، وأن الفجوة بينهما ستظل موجودة، إلا

١- Ibid; P٣٤٦.

أنها قد تضيق في فترات وتتسع في فترات أخرى، وهذه الفجوة هي المسئولة عن حدوث مشكلات اجتماعية.

وعلى أية حال فلقد تم تحديد ووصف لمشكلات الاجتماعية بأساليب وطرق مختلفة إلا أن هناك عناصر عامة يجب توفرها في أية حالة أو ظرف حتى يمكن الحكم بأن هذه الحالة تعد مشكلة اجتماعية، وأهم هذه العناصر ما يلي:

- ١- موقف أو حالة أو شكل متكرر من السلوك.
- ٢- أن هذا الموقف أو السلوك يؤثر في عدد كاف من الناس سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة.
- ٣- أن الحكم التقديري للموقف أو السلوك الاجتماعي يحدد باعتباره أمرًا غير مرغوب فيه في المجتمع.
- ٤- أن هذا الموقف أو السلوك يهدد قيمًا اجتماعية.
- ٥- ثقة وإيمان عدد كاف من أعضاء المجتمع بأن شيئًا ما يمكن القيم به بشأن تحسني أو تعديل الموقف غير المرغوب فيه من خلال العمل المشترك والحل الجماعي.
- ٦- أن هذا الحل الجماعي أو العمل الجماعي يجب أن يتم من خلال فعل اجتماعي مناسب بمعنى ألا يكون الحل مستعارًا من خارج البيئة التي خلقت المشكلة ولكن يجب أن يكون في الإطار الاجتماعي الذي تخلقت فيه^(١).

فالمشكلة الاجتماعية هي موقف أو حالة في المجتمع اعتبرت خطيرة وغير مرغوب فيها من قبل المجتمع ككل، وهي تتركز على قيم اجتماعية، ويعتقد بأنه في الإمكان تحسنها أو علاجها، وعلى أية حال فإن مفهوم المشكلة الاجتماعية واجه وما زال يواجه العديد من الاختلافات الواضحة في وجهات النظر والرؤى الفكرية حوله، حيث أن

١- مالك بن تبي: ميلاد مجتمع وشبكة العلاقات الاجتماعية، ط١، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٧٤م، ص٢٨.

هذا المفهوم يعد من المفاهيم الإجرائية فى علم الاجتماع، لذا فمن الطبيعي أن تكون هناك اختلافات فى تحديد ماهية المشكلة الاجتماعية وتعريفها وذلك لعدة أسباب منها:

١- صعوبة انطباق تعريف واحد يصلح لتفسير كافة المشاكل الاجتماعية.

٢- نسبية المشاكل الاجتماعية.

٣- ارتباط ميدان الدراسة فى مجال المشكلات الاجتماعية بواقع وظروف المجتمع الذي توجه فيه، وبالرؤية والتوجيه الفكري للباحث المهموم بها والملتزم بدراستها من جهة أخرى^(١).

ويمكن إجمال هذه الاختلافات والرؤى المتعارضة فى نموذجين أساسيين من التعريفات:

النموذج الأول: يطلق عليه نموذج الرأي العام؛ والتعريفات التي تندرج تحت هذا النموذج ترى أن تحديد المشكلة الاجتماعية والوعي بها والتضرر منها هي مسئولية الأفراد المتضررين بها والذين يعملون من جهتهم على تعديل هذا الوضع، ومن أمثلة هذه التعريفات ما يلي:

تعريف ريتشارد فولار: Richard Fuller

يرى ريتشارد فولار أن المشكلة الاجتماعية هي حالة تؤثر على عدد كاف من الناس بطريقة غير مرغوبة وأن شيئاً ما يجب عمله تجاه هذه الحالة من خلال عمل اجتماعي جماعي^(٢).

وواضح من خلال تعريف فولار أن المشكلة الاجتماعية تتضمن أحكاماً قيمية، وتقتضى اتفاق عدد كاف من الأفراد على أن هذه الحالة غير مرغوب فيها، فالمحك هنا

١- محمد أحمد بيومي: المشكلات الاجتماعية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨، ص ٨.

٢- شادية قناوي: المشكلات الاجتماعية وإشكالية اغتراب علم الاجتماع، رؤية من العالم الثالث، القاهرة، دار الثقافة ٦٩-٧٠ العربية ١٩٩٥م، ص ص ٦٩-٧٠.

هو عدد كاف من الأفراد الذي يتأثرون بالمشكلة ويمكن التعرف على هذا الحجم من خلال قياس الاهتمام العام بتلك الحالة التي تمثل المشكلة الاجتماعية انعكاسا لها، كأن يتم مثلا ذلك عن طريق حصر المقالات والدراسات التي تتناول تلك المشكلة، فقيم المجتمع هي التي تقرر مدى كون النواحي غير المرغوبة مشكلة أم لا، فعمالة الأطفال لم تكن تمثل مشكلة، حيث قرر طائفة كبيرة من الناس بأنها شيء مرغوب فيه، ولكن حينما تغير الوضع وأعلن عدد كبير من الناس أن تشغيل الأطفال أمراً غير مرغوب فيه، نصح هنا إزاء مشكلة اجتماعية.

ومن هنا يمكن القول أن الانتحار وتعاطي المخدرات والجنسية المثلية والبعاء والزواج العرفي، وهتك العرض والاعتصاب، لا يمكن اعتبارها مشكلات إلا حينما تقرر قيم عدد كافٍ من الأفراد أنها ظواهر غير مرغوبة، وبالتالي تشكل مشكلة اجتماعية، هنا يتولد شعور بأن شيء ما يجب أن يتم، أي التعرف على أسباب حدوث هذه المشكلات وكيفية معالجتها بكافة الطرق وخاصة الاعتماد على العمل الجماعي كاستصدار بعض القرارات العامة، وبلورة الأحكام القيمية، وتصميم أساليب جديدة للعلاج^(١).

كما يحدد قاموس علم الاجتماع المشكلة الاجتماعية بأنها "موقف يؤثر في عدد من الأفراد بحيث يعتقدون - أو يعتقد بعض أفراد المجتمع - أن هذا الموقف هو مصدر الصعوبات أو المساوئ"، وهكذا تصبح المشكلة الاجتماعية موقفاً موضوعياً من جهة، وتفسيرا اجتماعيا ذاتياً من جهة أخرى، فالمشكلات الأساسية التي يعاني منها المجتمع هي انحراف الأحداث، والقتل، والإدمان والطلاق، والضعف العقلي والبطالة والفساد

١ - عزة صيام: المشكلات الاجتماعية والنقد الاجتماعي، القاهرة، مكتبة الحرية، ١٩٩٣م، ص.ص.

الحكومي^(١).

هذا النموذج من التعريفات يعتمد إذن على رأي أفراد المجتمع المتضررين من المشكلة وقيمهم وحكمهم عليها، إلا أن الاعتماد على هذا النموذج لا يعطي صورة صادقة عن حقيقة المشكلة الاجتماعية ذلك لأن الحكم ينبغ من عامة الناس أحياناً عديمي القيمة وأحياناً يتصف ذلك الحكم بالطابع الذاتي والميول الفرعية.

ومن المعروف أن المجتمعات النامية عموماً والعربية على وجه التحديد تلعب القوى الرسمية المهيمنة على وسائل الإعلام دوراً رئيسياً في تشكيل الرأي العام واتجاهاته، ومن ثم إن الأخذ بهذا النموذج من التعريفات لا يصلح الاعتماد عليه بوجه عم في دراسة المشكلات الاجتماعية في المجتمعات العربية، فمعتقدات وقيم الأفراد ليست هي المحك العام لتحديد المشكلة الاجتماعية، بالإضافة إلى أن رأي أفراد المجتمع قد يكون متحيزاً أو مبالغاً فيه، وغير مدرك لأوضاع أخرى قد تمثل مشكلة حقيقية ولكن لا يدركها أفراد المجتمع.

أما النموذج الثاني فهو ما يطلق عليه "نموذج قيم المعرفة" ولقد قدم هذا النموذج كبديل لنموذج الرأي العام.

ومن أمثلة التعريفات التي تتدرج تحت هذا النموذج تعريف زكي بدوي في قاموس العلوم الاجتماعية حيث يعرف المشكلة الاجتماعية "بأنها المفارقات بين المستويات المرغوبة والظروف الواقعية فهي مشكلات بمعنى أنها تمثل اضطراباً وتعطيلاً لسير الأمور بطريقة مرغوبة كما يحددها القائمون بدراسة المجتمع".

ويرى جيروم. ج. مانيس أن المشكلات الاجتماعية هي تلك الحالات أو الظروف الاجتماعية التي تتحدد عن طريق البحث العلمي والقيم العلمية باعتبارها معوقة

١- نخبة من أساتذة علم الاجتماع بالإسكندرية: قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية دار المعرفة الجامعية، د.ت، ص ٤٣٣.

للخير الإنساني، ويتفق جيروم. ج مانيس في هذا التعريف مع رأي روبرت ميرتون Robert K. Merton الذي يرى أن الاعتماد على رأي أفراد المجتمع في تحديد ماهية المشكلات الاجتماعية يقود إلى خلط واضح، حيث أن رأي الجمهور قد يكون انفعاليا غير عقلائي، كما أن أفراد المجتمع قد لا يدركون ولا يرون ما هو ضار بالمجتمع فعلا، فقدم مقولته الشهيرة المشكلات الاجتماعية الظاهرة، والمشكلات الاجتماعية الكامنة مؤكداً البعد الذاتي والبعد الموضوعي في تحديد المشكلة الاجتماعية مؤكداً في ذات الوقت دور القيم والمعايير الاجتماعية والعلمية للباحث عند تحديده للمشكلة الاجتماعية، وعلى أية حال فإن تعريفات كل نموذج للمشكلة الاجتماعية لا يجب أن ينظر إليها على أنها تعارض تام مع النموذج الآخر، وإن كان ذلك هو الظاهر لنا، إلا أننا يجب أن ننظر إليها كما تقول شادية قناوي على أنها مكملة ومتممة لكل منهما الآخر^(١).

ولكي توجد مشكلة اجتماعية لابد من توافر عنصرين:

أولاً: الشرط الموضوعي: Objective Condition

وهو ما يمكن ملاحظته وقياسه عن طريق الملاحظين الاجتماعيين المحايدين ومثال ذلك الجريمة، الفقر، التوترات الدينية.

الثاني: الشرط الذاتي أو التعريف الذاتي: Subjective Definition

وهو ما يقرره أعضاء المجتمع بأن هذا الشرط الموضوعي يمثل مشكلة حقيقية، وهنا يمكن ملاحظة دو القيم الاجتماعية في أن تحدد ظرفاً معيناً على أنه مشكلة اجتماعية.

فالمشاكل الاجتماعية تعد بمثابة عملة ذات وجهين وجه ذاتي والآخر موضوعي، ويظهر الوجه الذاتي في إدراك الناس وتقييمهم لوجود المشكلة الاجتماعية من عدمه، ولذا

١- شادية قناوي: (١٩٩٣) مرجع سابق، ص ٧١.

فإن الباحث في مجال دراسة المشكلات الاجتماعية ليس له أن يغفل رأي أفراد المجتمع في المشكلة، ولا يجب أن يسلم بأن تصوراتهم دائماً إما مبالغ فيها أو مغلوطة لأنه بذلك يستبعد الظروف الأخرى التي تدل في الواقع على التناقض القائم بين أهدافهم وقيمهم والتي تسبب في عدد من التوترات غير الملحوظة للرجل العادي، ولهذا إذا أصر الباحث على دراسة ما هو ظاهر وواضح من ظروف الواقع الذي يحياه الناس، فإنه سيقع بدون شك في متاهة الذاتية حتى وإن كان هدفه النهائي الالتزام الدقيق بالمنهج العلمي^(١).

أما الوجه الآخر للمشكلة الاجتماعية فهو الوجه الموضوعي ويقصد به قدرة عالم الاجتماع باستخدام البحث العلمي على الكشف التدريجي والمستمر للمشاكل الاجتماعية المستترة، والتي يقصد بها تلك التي تتعارض مع قيم الجماعة دون أن تلاحظ الجامعة ذلك التعرض في أثناء ممارستها للحياة في ميادينها المتعددة.

ولقد ذهب عدد من علماء الاجتماع إلى التفرقة بين الجانب الذاتي والجانب الموضوعي في دراستهم للمشكلات الاجتماعية، وأفضلية دراسة المشكلات الاجتماعية من خلال الجانب الموضوعي كما اشار إلى ذلك فولار Fuller ومايرز Mayrs حيث يقول "أنا نتفق مع ما ذهب إليه هوارد بيكر في مؤلفه "اتجاه معاصر للمشكلات الاجتماعية" Social Problems A Modern Approach بأن الارتكاز فقط على الجانب الموضوعي في دراسة المشكلات الاجتماعية أمر يعتره بعض الغموض، فليس كل موقف موضوعي يشكل بالضرورة مشكلة اجتماعية، ومن هنا يتضح مدى عقم النظرية التي تذهب إلى أن المشكلات الاجتماعية هي انعكاس لظروف موضوعية في تفسير السبب في اعتبار أوضاع معينة مشكلات اجتماعية في حين لا تعتبر أوضاع أخرى أكثر خطورة وضرراً مشكلات اجتماعية، فإذا كان الجانب الموضوعي هو ذلك

١- عاطف غيث وإسماعيل سعد: التخطيط الاجتماعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠م، ص.ص ٧٣-٧٤.

الجانب الذي يمكن قياسه والتحقق منه بالاختبار، فإن الجانب الذاتي يشير إلى إدراك الناس ووعيهم إزاء تلك الأوضاع التي تهدد قيمهم ومعتقداتهم^(١).

وهناك بعد تحليلي آخر يستند على التمييز بين المشاكل الطبيعية Physical Problems والمشاكل الاجتماعية Social Problems فالطبيعة موجودة منذ ملايين السنين، وأن ظواهرها تؤثر في الإنسان منذ ملايين السنين أيضاً، إلا أن ما تغير هو علاقة الطبيعة بالإنسان، وهذا لا يرجع بطبيعة الحال إلى أن الطبيعة أصبحت أكثر قوة وفاعلية، ولكن هذا راجع إلى أن الظواهر الاجتماعية أصبحت أكثر تعقيدا وأكثر ضغطا على مجتمعات الإنسان، فالإنسان نفسه هو الذى غير، فتأثير الطبيعة فى حياة الإنسان تم بإرادة الإنسان نفسه، فكل ما تحزره التكنولوجيا من تقدم هى فى الواقع إنجازات اجتماعية تعبر عن ارتباط المجتمع وتآزره من أجل التقدم، ولذا فإننا نميل إلى القول بأن المشكلة الاجتماعية ليست إلا نتيجة تخلخل يصيب البناء الاجتماعي، أما بالنسبة للكوارث الطبيعية Physical Calamity والمتمثلة فى الزلازل Earthquakes والفيضانات Floods والأوبئة Epidemics والمجاعات Droughts ... الخ، فهى ليست مشكلات اجتماعية فى ذاتها ولكنها تؤدي إلى مشكلات اجتماعية فمثلا انتشار الأوبئة قد يكون ناتجا عن خلل بيولوجي، إلا أن محاولات الإنسان فى الحد من آثار مثل هذه الأوبئة هو مسألة اجتماعية، ويقول عاطف غيث أن الإنسان قادر على مقابلة هذه الكوارث والتخلص منها وذلك لسد طريق المشكلة الاجتماعية أو القضاء على منابعها أو التقليل من آثارها، فلقد ولى العصر الذي كان يتم فيه تفسير أزمات الإنسان فى ضوء القدرية والأرواح الشريرة وفقر البيئة، كما ولى العصر الذي كان ينظر فيه الإنسان إلى المشكلة الاجتماعية نظرة سلبية حين كان يحول المشكلة إلى فكرة يمكن السيطرة عليها

١- عزة صيام: (١٩٩٣م)، مرجع سابق، ص.ص. ٣٨-٣٩.

أو الإمساك بها فيركن إلى الاستسلام والشكوى وندب سوء الحظ^(١).

ويرى الكاتب أن قدرة الإنسان في الحد من آثار هذه الكوارث تتوقف على مدى فهم الإنسان للواقع الاجتماعي عن طريق العلم والتخطيط العلمي، إلا أن هذه القدرة محدودة فهي قادرة على التخفيف من آثار الكوارث الطبيعية إلا أنها تقف عاجزة أمام قدرة الله سبحانه وتعالى، وهذا ما نلاحظه بصورة تكاد تكون يومية عن الآثار المدمرة في شتى بقاع العالم، اليابان وإيران والولايات المتحدة الأمريكية، وما حدث في تركيا في زلازل الثلاثاء الأسود في أغسطس عام ١٩٩٩ خير مثال على ذلك.

كما أن هناك تمييز بين المشكلات الشخصية Personal Problems والمشكلات الاجتماعية، ويقصد بالمشكلات الشخصية تلك المتاعب والتقلبات المادية والرفض الاجتماعي ومجموعة أخرى من الكوارث التي تحدث دال شخصية الفرد، وهي متاعب شخصية تشكل في واقع الأمر مشكلة خاصة في نطاق الفرد كوحدة مفردة، ومثل هذه المشكلات تقابل مشكلات أخرى تتعدى نطاق الفرد وهي المشكلات العامة المتصلة بالبناء الاجتماعي أي المشكلات التي تحدث داخل النظم الاجتماعية حيث تتداخل وتتشابك القضايا داخل البناء الكلي للحياة الاجتماعية.

فمثلا الشخص الذي يختار عن وعي استثمارا خطيرا على أمل إحراز نجاح كبير مفاجئ، ربما يتعرض بدلا عن ذلك خسارة مالية فادحة، وترتبط مثل هذه الأحداث المؤسفة ارتباطا قليلا بالمشكلات الاجتماعية^(٢).

وقد يتركز الخلل الذي يعاني منه الشخص في طبيعة البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها فالأطفال يولدون وليس لديهم إدراك للتمييز بين الصواب والخطأ، وتتولى

١- عاطف غيث وإسماعيل سعد: (١٩٩٠م)، مرجع سابق، ص.ص. ٦٦-٦٧.

٢- محمد احمد بيومي: المشكلات الاجتماعية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣م، ص ص ١١-١٢.

الأسرة هنا مهمة تعليمهم السلوك طبقا لما جرى عليه العرف، فالطفل الذي يجد نفسه فى أسرة تنتظر إلى السرقة رغم عدم شرعيتها على أنها طريقة عادية من طرق العيش، سيكتسب الطفل هذه النظرة وتصبح السرقة وسيلة للعيش بالنسبة له، كما أن الأولاد الذين يقيمون بالقرب من السكك الحديدية والذين يرسلهم آباؤهم لسرقة الفحم من عربات الشحن المتوقفة وذلك لتدفئة بيوتهم، أو حتى لبيعه فإن مثل هؤلاء الأطفال متوافقون فى بيئة غير متوافقة، فالسرقة بالنسبة لهم متعة وجزء من السلوك الرجولي، ومع ذلك فى حالات نادرة قد يخالف بعض هؤلاء الأطفال فى المستقبل سلوكيات أسرهم وفى مثل هذه الحالة سوف يتعرضون لمؤثرات اجتماعية قوية ورفض اجتماعي، ويصبحون غير متوافقين فى بيئة غير متوافقة^(١).

ولذا فإننا فى دراسة المشكلات الاجتماعية يجب أن نهتم بالبدائل الشخصية لأهميتها فى تقرير سلوكيات شخصية معينة، إلا أننا لا يمكن أن نرجع المشكلات الاجتماعية إلى تلك البدائل الشخصية، فالشخص الذى يقدم على ارتكاب جريمة معينة فهو بدون شك قد فكر ثم أقدم على فعله، هذا الشخص يجب أن يتحمل المسئولية الشخصية لهذا العمل ويتحمل نتائج هذه الجريمة إذا أدركها المجتمع. فكافة المجتمعات لا تخفى حقيقة أن القتل والاغتصاب والسرقة وجرائم أخرى هى انتهاكات شنيعة لمعايير المجتمع المنفق عليها، وتعاقب كافة المجتمعات مرتكبي هذه الأفعال الإجرامية. ومع ذلك فهناك بعض المؤثرات الاجتماعية التى قد يكون لها أثرا فى الحكم على الشخص المعتدى كمبرر لعقاب أخف، حيث أنه قد يمر بعض الناس بمشاكل ليس لها أى صلة باختياراتهم. فالمرأة الأرملة مثلا التى تتحصر مهمتها فى تربية الأطفال وإدارة شؤون المنزل لأن المجتمع لا يسمح بعمل الزوجات فإن مثل هذه المرأة - خاصة إذا كان موارد زوجها قبل وفاته بسيطة - سوف تجد نفسها أمام مشكلة اقتصادية خطيرة، وسوف

١- السيد عوض: الجريمة فى مجتمع متغير، الإسكندرية، المكتبة المصرية، ٢٠٠١م، ص ١٥٠.

تصبح جزءاً من مشكلة اجتماعية، وسوف يكون من غير المنطقي أن نفسر تورطها في بعض المواقف على أنه نتيجة لخيارات شخصية في الوقت الذي كانت فيه طيلة حياتها تسلك في كل مرة بطريقة مثالية تتفق مع المعايير التي يقرها المجتمع.

وهنا يمكن أن نقرر أن فهم المشكلات الاجتماعية على أنه نتيجة لخيارات شخصية غير صائب، وفهم جانبه الصواب فكثير من الأفعال تتأثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالأعراف الاجتماعية والعادات والتقاليد التي تحيط بالناس، وتدخل المشاكل الاجتماعية في نطاق ذلك أي أنها تتأثر - إلى حد ما - بظروف المجتمع ومن هنا يؤمن الكثيرون بأننا ينبغي أن نتحمل مسؤولية جماعية تجاه مساعدة هؤلاء الذين يعانون من الضرر بسبب المشاكل الاجتماعية.^(١)

وهناك تمييز بين المشكلات الاجتماعية (Social Problems) والمشكلات السوسولوجية (Sociological Problems) فلقد لاحظ دور كايم في نهاية القرن التاسع عشر أن مصطلح اجتماعي Social يستخدم بصفة شائعة ويطبق على جميع الظواهر المنتشرة في المجتمع، بالرغم من ضآلة الأهمية الاجتماعية لهذه الظواهر ومع هذا فليست هناك شواهد بشرية يمكن ألا يطلق عليها صفة اجتماعي. فهناك فرق بين الصفة اجتماعي Social والصفة سوسولوجي Sociological. فالصفة الأولى تنطبق على أية ظاهرة اجتماعية بتدارسها أي علم من علوم المجتمع، بينما الصفة الثانية لا تنطبق إلا على تلك القضايا والظواهر التي يركز عليها علم الاجتماع وينفرد في دراستها متدخله ومنهجه المتميزين^(١) وقد ميز ويرث Wirth في مؤلفة المشكلات الاجتماعية المعاصرة Contemporary ١٩٣٩ social problems بين المشكلات الاجتماعية أو Social Problems والمشكلات السوسولوجية Sociological Problems أو العلمية. فالمشكلات الاجتماعية هي مواقف منحرفة عن مواقف مرغوب فيها. أما المشكلات السوسولوجية أو العلمية هي مشكلات معرفية، تظهر حينما لا تكون العلاقات

بين الأحداث معروفة^(١)

يرى سبكتور و كنسوز Spectar and kisuse في كتابهما Construction ١٩٧٧ Social problems أن المقصود بالمشكلات الاجتماعية "تلك الأنشطة التي من خلالها تنتهي الظروف والأحوال التي يطلق عليها وتعرف كمشاكل عن طريق الحكومات ووسائل الإعلام ووكالات الرعاية الخاصة أو العامة بالإضافة إلى مشكلة المتحدثين بلسان الشعب بين الجماهير العامة وهذا يعنى أننا يمكن أن نعرف المشاكل الاجتماعية بأنها نشاطات الأفراد أو الجماعات التي تؤدي إلى خلق تأكيدات لمظالم ومطالب بخصوص بعض الأحوال المزعومة أو المفترضة حيث أن ظهور مشكلة اجتماعية يتوقف على مدى تنظيم الأنشطة التي تؤكد أن هناك حاجة لإبادة أو استئصال eradicating أو تحسين ameliorating أو إجراء أية تغييرات أخرى في أحوال معينة^(٢) ومن هنا فإن المشاكل الاجتماعية تعكس بصفة عامة ما يهتم به الأشخاص دائما، وما يروونه انه يجب أن يحدث بخصوص شيء ما، وما يروونه انه أمر غير مرغوب وفي حاجة ماسة للتخلص منه، وتعتمد هذه المشاكل على أهمية بعدي المكان والزمان، فهي تخضع لعملية التغير، وهي تتراوح من ضرب الزوجة Wife Battering إلى الأمية Illiteracy، ومن التمييز العنصري Racial Discrimination إلى التلوث البيئي Environmental Pollution، ومن المخدرات Drugs إلى الإجهاض Abortion ومن الكحوليات Alcohol إلى الاعتداء الجنسي Sexual Assault، ومن عدم المساواة في الجنس إلى انحراف الأحداث.

ولقد أشار بي فول Pfohl في ١٩٧٧ على سبيل المثال أنه في أوائل السبعينات من القرن العشرين تم فقط تحديد إساءة معاملة الطفل Child Abuse باعتبارها مشكلة، وأنه يجب السعي نحو عمل شيء تجاهها، فعلى الرغم من أن الأطفال كان يتم ضربهم من قبل، وكانت نساء معاملتهم، إلا أن ذلك لم يكن موضوعا يجذب انتباه الجماهير،

ولكن عندما تناولت جماعات معينة هذا الموضوع كالأخصائيين في مجال الطب، وخاصة أبطاء الأشعة، حيث عرضوا الموضوع بطريقة أدت إلى حضور الجذب الجماهيري الهائل، وفي هذه الحالة تم تحديد هذا الموضوع باعتباره مشكلة عامة ورئيسية.

ولقد تم تحديد الأنواع المختلفة أيضاً وفي فترات متباعدة كمشاكل اجتماعية؛ فمثلا السطو Robbery أي السرقة بالعنف، فقد تم تحديدها من قديم الأزل باعتبارها جريمة، إلا أنه في أوائل السبعينات من القرن العشرين فإن شكل معين منها أصبح يسمى بالنهب Mugging وتم درجه في مرتبة أية مشكلة اجتماعية خطيرة، ولقد حدث ذلك تحت تأثير نداءات أو مطالب كل من رجال السياسة وضباط الشرطة ورجال الصحافة.

أما المشكلات السوسولوجية Sociological Problems فهي تلك المشكلات التي يتم اشتقاقها من الاهتمامات التي تحرك التساؤل السوسولوجي وتعكس هذه الاهتمامات الاتجاهات النظرية المختلفة التي يستخدمها علماء الاجتماع، وربما تكون مشكلة النظام الاجتماعي العام Social Order هي أهم تلك الاهتمامات؛ أي كيف يمكن أن يكون المجتمع ممكناً؟ How is society possible? ومن المهام الأخرى التي تشغل علماء الاجتماع هي فهم العمل الاجتماعي Social Action، وتحديد الخبرات الاجتماعية والثقافية داخل الهيئات البنائية المتغيرة، ووصف العمليات الاجتماعية بما فيها الهويات الاجتماعية، وتوحد البناءات التنظيمية للتفاعل الاجتماعي، كما تشمل أيضاً المناظرات المنهجية عن مشاكل النظرية والتطبيق والبناء والعوامل الموضوعية والمعنى، فمثلاً إذا ما تناولنا الجريمة فكيف يمكن دراستها كمشكلة سوسولوجية حيث يتطلب ذلك دراستها دراسة موضوعية لا دخل للعواطف والأهواء الشخصية، وتناول كافة الاتجاهات النظرية التي تناولت الجريمة وما هي مناهج البحث الملائمة لدرستها، وحينما تتكون لدينا فكرة واضحة عن هذه الظاهرة، وإن تكون هذه

الفكرة مبنية على أسس علمية هنا فقط يمكن أن نخطو خطوة أخرى نحو الإصلاح والعلاج بمعنى أن اهتمامنا بالجريمة امتد من اعتبارها مشكلة سوسولوجية إلى اعتبارها مشكلة اجتماعية، فالاهتمام السوسولوجي بالجريمة كمشكلة اجتماعية فهذا هو مجال اهتمام الخدمة الاجتماعية حيث الإصلاح والعلاج، وهو اهتمام لا يتعارض مع الاهتمام السوسولوجي بل إن تقدم الخدمة الاجتماعية مرهون ومتوقف على مدى ما يحققه علم الاجتماع من تقدم، ففن الطب والجراحة لم يتقدم إلا بتقدم وارتقاء كل من علمي التشريح ووظائف الأعضاء. كما أن الصناعة تقدمت تبعا لتطور الاكتشافات العلمية في مجال الميكانيكا والعلوم الطبيعية والكيميائية.

والجريمة كمشكلة اجتماعية هي مجال اهتمام ضباط الشرطة ورجال السياسة وضحايا العنف، إلا أن الاهتمام بتأثيرها مشكلة سوسولوجية فهذا هو ما ينفرد به علماء الاجتماع حيث أن مهمتهم تكمن في تحديد الداء وترك للتخصصات الأخرى صرف الدواء.

ويرى علماء الاجتماع الأمريكيين أن هناك فرقا بين Societal Problems أي المشكلة بالمعنى العام، وما يطلقون عليه Social Problems أي المشكلة بالمعنى الخاص، والمشكلة بالمعنى العام هي محاولة الإجابة عن سؤال عام لا يتعلق بمجتمع معين ولا بدولة بذاتها ولكنه يخص المجتمعات عامة، وذلك مثل التفرة العنصرية في العالم، أو مشكلة الحرية الفرية أو مشكلة السلوك الإجرامي.

أما المشكلة بالمعنى الخاص فهي محاولة الإجابة عن سؤال معين يتعلق بمجتمع خاص وفي عصر معين، كما لو تحدثنا عن مشكلة رفع مستوى المعيشة في مصر، أو مشكلة التفرة لعنصرية في جنوب أفريقيا... الخ، وأنه لحل المشكلات الخاصة نحتاج بالضرورة إلى دراسة المشكلات العامة، فمثلا في محاولة رغبتنا في حل مشكلة مستوى المعيشة في مصر؛ ينبغي علينا أن نبدأ بدراسة هذه المشكلة في المجتمعات المختلفة

والظروف التي أدت إليها، وكيف استطاع الباحثون أن يجدوا حلا ملائما لها، ثم نوازن بين ظروفنا وظروف هذه المجتمعات ونأخذ من الحلول ما يناسب حالتنا^(١).

الفهم الأساسي للمشكلات الاجتماعية:

Basic Understanding Concerning Social Problems

تعد المشكلات الاجتماعية بمثابة ظاهرة اجتماعية موجودة في كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية، فهي ظاهرة لا تخلو منها مجتمع على وجه البشرية وتتميز هذه الظاهرة بعدة خصائص نذكر منها ما يلي:

١- أن المشكلات الاجتماعية نسبية، وغير مطلقة، ولا يتأثر بها كل عضو في المجتمع بشكل متساو، فهي نسبية لأن الحكم بوجود مشكلة اجتماعية هو حكم تقديري يختلف باختلاف الأزمنة في المجتمع الواحد، ووفقا لاختلاف الأمكنة بين مجتمعات مختلفة في زمن واحد، فما يعتبر مشكلة في مجتمع معين في وقت ما قد لا يعتبر كذلك في نفس المجتمع في وقت آخر، وقد يرجع ذلك إلى اختلاف القيم والمعايير في المجتمع من زمن إلى زمن آخر، واختلافها أيضا من مجتمع إلى مجتمع آخر في زمن واحد، فالزنا يعتبر سلوك انحرافي من الناحية القانونية والأخلاقية، ولكنه لا يعتبر كذلك في مجتمعات أخرى، فمصر الفرعونية القديمة مثلا كانت تنظر إلى الاتصال الجنسي بين أبناء الصفوة بوصفه سلوكا لا يخضع للتحريم، كما أن خروج المرأة متبرجة يعد مشكلة اجتماعية في المجتمعات الإسلامية وخاصة السعودية في وقتنا الحالي، إلا أنه أمر عادي في الدول الأوروبية، كما أن المشكلات الاجتماعية لا يتأثر بها كل عضو في المجتمع بشكل متساوٍ ويرجع ذلك إلى حقيقة مؤداها انه من الصعب التوصل إلى اتفاق عام حول ماهية المشكلات الاجتماعية وأساليب مواجهتها، فالأفراد لم يتوصلوا بعد إلى مبررات منطقية تلقى القبول من كافة الفئات الاجتماعية،

١- حسن سعفان: (١٩٥٥)، مرجع سابق، ص ٢٥.

وان ما يقدمه الأفراد من أساليب لحل المشكلات الاجتماعية يعكس مصالحهم الخاصة وتفضيلاتهم القيمية، ولعل هذا يفسر حرص بعض جماعات المصالح على الحفاظ أو التهرب من مواجهة بعض المشكلات لأن في ذلك نفع مادي لها، وان بقائها انعكاس لوجود أنماط من القوى المهيمنة على مجريات الأمور والتي ترى أن حسم هذه المشكلات يعني فقدان بعض المصالح الخاصة، فالمشكلات الاجتماعية وحلولها لها تأثير متباين على المجتمع، فمثلا الاهتمام الذي توليه مصر بتجريم المخدرات له أثر سلبي على كل من تاجر المخدرات ومدمن المخدرات، وله أثر إيجابي على كل أفراد المجتمع، وكذلك تقرير عقوبة الإعدام على مرتكب جريمة الاغتصاب له اثر سلبي على الذئاب البشرية مرتكبي الجريمة وله أثر إيجابي على بقية أفراد المجتمع فبعض الناس يحققون منافع والبعض الآخر يصيبهم ضرر بالغ.

٢- أن أسباب المشكلات الاجتماعية مركبة ومتعددة The causes of social problems are multiple فالمشكلات الاجتماعية تحدث نتيجة للعديد من الأسباب والعوامل وليست نتيجة سبب أو عامل وحيد فالعوامل السببية مترابطة بصورة تكرارية ومتفاعلة وتؤدي إلى حدوث المشكلات الاجتماعية.

٣- أن المشكلات الاجتماعية ربما تحدث نتيجة أسباب غير معروفة ولا يمكن التحكم فيها Social problem may be created from "cause" that are unknown and un controllable حيث ينبغي استخدام مصطلح سبب "cause" بكل حرص وحذر وذلك للأخطاء الخطيرة التي يمكن أن تحدث عند دراسة الظواهر الاجتماعية في مصطلحات سبب وعلة Cause لسبب أو علة أخرى، ومن ثم فإن الأسباب التي يكون لها تأثيرات متعددة سواء كانت مرغوبة أو غير مرغوبة، تؤدي إلى صعوبة وضع مقاييس قادرة على إصلاح وعلاج المشكلات الاجتماعية.

٤- أن المشكلات الاجتماعية مرتبطة ببعضها البعض ومتداخلة في بعضها البعض ومتفاعلة مع بعضها البعض الآخر، حيث أن هناك علاقات متبادلة ومتداخلة بين المشكلات الاجتماعية، فالمشكلة في المجتمع لا توجد منفصلة كوحدة مستقلة، فالزواج العرفي كمشكلة اجتماعية ظهرت حديثاً في مجتمعنا لا يمكن تناولها دون النظر إلى المشكلات الأخرى التي تؤثر فيها وتتأثر بها كالمشكلات الأسرية والأخلاقية والاقتصادية.. الخ، كما انه لا يمكن تناول مشكلة ضعف الإنتاج في مجتمع معين دون أن نأخذ في اعتبارنا المستوى التعليمي ومدى توفر الخبرة والكفاءة للعمال... الخ.

٥- أن المشكلة الاجتماعية غير منفصلة عن الوظيفة التي تقوم بها في سياق التفاعل والمشاركة؛ أي انه ليست هناك مشكلة اجتماعية في حد ذاتها، وإنما توجد المشكلة في سياق معين وظروف اجتماعية وثقافية محددة، فلقد كان مثلاً ارتفاع معدل المواليد منذ آلاف السنين شيئاً ضرورياً بل ووظيفياً لأنه يعمل على الاحتفاظ بالمجتمع واستمرار وجوده، أما اليوم فقد أصبح هذا الارتفاع يمثل إحدى المشاكل الخطيرة بالنسبة لكثير من المجتمعات، ومن ثم فإن المشاكل الاجتماعية ترتبط بقيم مجتمع معين ومعاييره، وطبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة فيه، والتي قد تتميز بالفردية والعلمانية والتعاقدية، أو على العكس قد تتميز بالجماعية والقدسية والتعاقدية، ويؤكد علم الاجتماع الحديث أن السلوك الاجتماعي سواء كان أخلاقياً أو غير ذلك، قانونياً أو خارجاً على القانون لا يمكن فهمه إلا في ضوء لقيم التي تمنحه معناه ومدلوله والنظم التي تحدد وسائل تحقيقه.

٦- تتميز المشاكل الاجتماعية عن غيرها من المشاكل الأخرى بعلاقتها الوثيقة بالسياقات النظامية والمعاييرية، فهي اجتماعية لأنها متصلة بالعلاقات الإنسانية وبالسياق القيمي الذي توجد فيه العلاقات الاجتماعية، وهي مشاك لأنها تمثل

تصدعات في المخططات المتوقعة اجتماعيا والمرغوبة من الناحية الأخلاقية، وهذا يعني أن هناك بعدا ذاتيا بجانب البعد الموضوعي في أى مشكلة اجتماعية، أى انه لا توجد مشكلة اجتماعية معينة عند أى شعب دون أن يدركها على أنها كذلك، ومن أجل هذا يتدخل العنصر الذاتي في تحديد المشكلة (عاطف غيث: ١٩٧٣، ص ٣٨).

٧- إن حل المشكلات الاجتماعية قد يتضمن صراعًا مع قيم اجتماعية راسخة أخرى Solutions to Social Problems may involve conflict with other cherished social values حيث أن السعي نحو حل مشكلة اجتماعية قد يواجه معوقات لأن هذا الحل يتضمن صراعا مع قيم اجتماعية أخرى، حيث أن هناك عدد من القيم الاجتماعية الراسخة في أذهان الريفيين كالعزوة والاعتزاز بالعصبية أدت إلى إنجاب عدد كبير من الأطفال في ظل ظاهرة الزواج المبكر التي ما زالت سائدة في الريف، ونحن بداية القرن الحادي والعشرين، هذه القيم تتعارض تماما مع حل مشكلة الانفجار السكاني.

٨- أن المشكلات الاجتماعية ترتبط بإحكام مع التغيير الاجتماعية Social problems are closely interlaced with social change وفي هذا يقول روبرت بارك Robert Park أن التغيير الاجتماعي يؤدي إلى التفكك الاجتماعي، فنحن نعيش فترة من التفكك الاجتماعي حيث أن كل شيء في حالة تهيج، وكل شيء يبدو انه عرضة للتغيير، وأن أى شكل من أشكال التغيير ينتج عنه تحول وتبدل يمكن قياسه في روتين الحياة الاجتماعية وبميل إلى أن يحطم العادات التي يقوم عليها التنظيم القائم، وكل وسيلة جديدة تؤثر في الحياة الاجتماعية والنظام الاجتماعي لها تأثيرها الواضح في التفكك، وكل اكتشاف جديد وكل اختراع جديد، وكل فكرة جديدة تعتبر شيئا مزعجا ومقلقا، ومن الواضح إذن أن أى شيء يجعل الحياة أكثر جاذبية

وتشويقا يعتبر خطرا على النظام القائم^(١). فالتغير الاجتماعية واهتمامه بما هو مرغوب فيه فى المجتمع قد يؤدي إلى حدوث مشكلات اجتماعية ، فالحقوق والامتيازات التي حصلت عليها المرأة المصرية تعتبر من التغيرات المرغوبة فى المجتمع والتي أتاحت للمرأة الدخول فى شتى مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والقضائية .. الخ، فقد أدى ذلك إلى ظهور العديد من المشكلات الاجتماعية المتعلقة بدور المرأة فى المنزل كزوجة وأم من ناحية ودورها فى العمل من ناحية أخرى وان عدم قدرتها على التوفيق بين أدوارها المتعددة قد يؤدي إلى خلق مشكلات متعددة.

وعلى أية حال هناك أربع مسلمات أساسية يطرحها علماء الاجتماع حول حدوث

المشكلات الاجتماعية، وهي كما يلي^(٢):

الأولى: أن المشكلات الاجتماعية تعد بمثابة نتائج لتأثيرات غير مباشرة أو غير متوقعة لأنماط سلوكية شائعة، فمثلا القيمة الاجتماعية المتمثلة فى إنجاب عدد اكبر من الأطفال أدت إلى مشكلة الانفجار السكاني.

الثانية: أن لبناء الاجتماعي دور فى انحراف بعض الأفراد فى المجتمع، فنظام الملكية باعتباره عنصرا أساسيا فى البناء الاجتماعي الأمريكي، يلقى قبولا اجتماعيا من جانب بعض أعضاء المجتمع، إلا أنه على الرغم من ذلك لا يشبع طموحات قطاعات كثيرة من أفراد المجتمع وخاصة الطبقة الوسطى والدنيا، الأمر الذي يشجعهم على البحث عن طرق أخرى للكسب والتملك بأسلوب غير مشروع قانونا وغير مقبول اجتماعيا كالسرقة والرشوة والسطو المسلح .. الخ.

الثالثة: أن التنوع الطبقي الذى يتضمنه البناء الاجتماعي لأي مجتمع يؤدي إلى تناول

١- سناء الخولي: التغير الاجتماعي والتحديث، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥، ص.ص. ١٧٠-١٧١.

٢- عزة صيام: (١٩٩٣)، مرجع سابق، ص.ص. ٣٦-٣٨.

متباين للمشكلات الاجتماعية السائدة، فالتعليم والدخل والمهنة وتراكم الخبرة الشخصية كلها عوامل لا تؤثر فقط فى ادراك الفرد للمشكلات الاجتماعية؛ بل تؤثر أيضاً على طبيعة الأساليب المقترحة لمعالجة هذه المشكلات.

الرابعة: أنه من الصعب التوصل إلى اتفاق عام حول ماهية المشكلات الاجتماعية وأساليب مواجهتها حيث أن المشكلات الاجتماعية لا تؤثر على كافة أعضاء المجتمع بشكل متساوٍ وقد تم شرح هذه القضية فى ثنايا عرض الكاتب لاحدى خصائص المشكلات الاجتماعية ألا وهى خاصة النسبية.

الفصل الثاني

مراحل التفكير الاجتماعية

في المشكلات الاجتماعية

* مقدمة.

* العلاقة بين الفكر والمشكلات.

* تحول التفكير الاجتماعية من الذاتية إلى الموضوعية في تناول المشكلات الاجتماعية.

* تطور اهتمام علم الاجتماع بدراسة المشكلات الاجتماعية.

* ارتباط المشكلات الاجتماعية بالبناء الاجتماعي.

* دور عالم الاجتماع عند دراسة المشكلات الاجتماعية.

مراحل التفكير الاجتماعية في المشكلات الاجتماعية(*)

مقدمة:

أن اهتمام الإنسان بدراسة المشكلات الاجتماعية قديم قدم اهتمامه بالحياة فنحن نهتم بالسلوك الذي يتنافى مع قواعد الأخلاق وديناميكية النظام الاجتماعية. والمشكلات الاجتماعية لا يكون لها وجودا لا إذا وجد الإنسان؛ فلا شك أن الإنسان يعيش مع جماعة داخل المجتمع، ومن هنا توجد علاقات متبادلة بين أفرادها وجماعاته بل وبين هذا المجتمع والمجتمعات الأخرى، وهذه العلاقات لا تسير دائما في طريق التفاهم والانسجام، بل تشوبها في أحيان كثيرة عوامل الاضطراب والتصادم والنزاع، وتبرز هذه العوامل تحت تأثير ما يتسم به الإنسان من أنانية، فالمشكلات الاجتماعية لا توجد في مجتمع دون آخر، بل توجد في كافة المجتمعات ومنذ بدء الخليقة، إلا أن حدة المشكلات ونوعيتها هي التي تختلف من زمن لآخر ومن مجتمع لآخر، فالمجتمعات البسيطة والشعبية التي يعتمد تنميتها إلى حد كبير على الروابط القرابية وبعض الروابط الشخصية الوثيقة لا تكون لديها هذه المشاكل التي نسميها اليوم مشاكل اجتماعية في المجتمعات الغربية، وإنما تظهر مشاكل أخرى ترتبط بالتوافق مع البيئة الفيزيائية المحيطة، وهي تتمثل في الحاجة إلى الطعام والمأوى والأمن الفيزيقي، وحينما تسيطر مشاكل الوجود الفيزيقي على انتباه الأعضاء في مجتمع معين يكون هناك احتمال ضئيل لظهور تفكك في العلاقات الاجتماعية، أو انحراف عن القواعد الاجتماعية أو غيرها من المسائل التي تعد مشاكل اجتماعية في المجتمع، ففي المجتمع الأمريكي - مثلا - تختفي هذه المشاكل إلى حد كبير نظرا لوفرة الموارد الاقتصادية، ولتفوق الإنسان في سيطرته على قوى الطبيعة، ولكن ليس معنى ذلك أن هذا المجتمع يخلو من المشاكل

* قام بإعداد هذا الفصل د. السيد عوض علي.

الاجتماعية، فهناك مسائل أخرى تحدد على أنها مشكلات^(١).

والمنتبع لتاريخ الفكر الاجتماعية يمكنه أن يؤكد على حقيقة مؤداها أن تاريخ الحضارات البشرية يمثل تاريخا للنجاح أو الفشل فى مواجهة المشكلات الاجتماعية، فالمشكلات الاجتماعية وكل ما له علاقة بها قد ساهم فى تحفيز الفكر البشري للعمل على إيجاد صيغ وحلول لما يواجه الإنسان من عقبات كانت محصولتها النهائية تطور المعرفة وارتقائها، وهنا تتضح العلاقة الجدلية بين الفكر Thought والمشكلات Problems، وفى هذا نجد كريستوفر فرى Christopher Fry يقول:

أن الإنسان لا يفكر إلا إذا كان غير سعيد.

ويصحوا عندما تسمح الحياة بالأمل.

وفى الواقع أننا لا ننتكون إلا من قلق متغير.

وعلى ذلك فإن ما يحدده المجتمع لا يرضى الناس، كما أن الإنسان يعير اهتمامه إلى المتغيرات التي تقلق الآخرين^(٢).

وعلى أية حال ففي الوقت الذي ساعدت فيه المشكلات على تطور الفكر؛ فقد ساعد التطور الفكري والمعرفي على دراسة المشكلات بشكل اكبر واعمق ضمن مراحل تعاقبية، ابتدأت بالفلسفة ومنذ أقدم العصور إلى أن وصلت فى الوقت الراهن إلى حق علم الاجتماع - فالاهتمام بدراسة المشكلات الاجتماعية وكيفية مواجهتها لم يكن وليد العصر الحديث، فلقد سبق القدماء المحدثون فى تناول المشكلات التي تواجه مجتمعاتهم، ولقد كان تناولهم اقرب إلى الفلسفة من ناحية وإلى النظرية من ناحية ثانية وإلى النظرة الذاتية الأخلاقية من ناحية ثالثة، فالتفكير الاجتماعية الذي يسعى إلى إيجاد خير

١- عاطف غيث: (١٩٨٨)، مرجع سابق، ص ٥٤.

٢- نوبل تايمز: علم الاجتماع ودراسة المشكلات الاجتماعية، ترجمة وتعليق: غريب سيد احمد، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤م، ص ٣٥.

الوسائل لسعادة المجتمع هو ما نطلق عليه الفلسفة الاجتماعية، حيث يسعى هذا التفكير إلى البحث عما يجب أن يكون، وإلى وضع أسس وقواعد؟؟؟؟ تهدف إلى تحقيق مجتمعات مثالية، ولم يهتم هذا التفكير بدراسة المجتمعات من حيث نظمها الكائنة بالفعل، أو من حيث ما كان عليه هذا النظم فى الماضي، ومن هنا يمكن القول أن التفكير الاجتماعي القديم كان تفكيراً ذاتياً Subjective thought ولم يكن تفكيراً موضوعياً Objective thought، والتفكير الذاتي هو الذي يعرض وجهة نظر المفكر وآراءه الذاتية، أما التفكير الموضوعي فإنه يبحث الظواهر بحثاً علمياً لمعرفة طبيعتها والوصول إلى قوانينها، ولقد استغرق الإنسان وقتاً طويلاً حتى تمكن من معالجة الموضوعات التي تناولتها العلوم الاجتماعية بطريقة علمية^(١).

ومن أمثلة التفكير الذاتي فى المسائل الاجتماعية ما كتبه فلاسفة اليونان بشأن رغبتهم فى الإصلاح الاجتماعي وبخاصة أفلاطون Plato (٣٤٧-٢٧٠ ق.م) وأرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) حينما حاولا أن يقيما النظام الاجتماعي المثالي، فوضع كل منهما صورة أو تخطيطاً مثالياً للمجتمع الذي كان يعيش فيه، ثم احرز التفكير الاجتماعي تقدماً قليلاً بين عصر أرسطو وأفلاطون وبداية العصر الحديث، وتعكس هذه الأفكار تعاليم الكنيسة، وظهرت بعض الكتابات التي تناولت أمور المجتمع، لعل أهمها محاولة ميكيافيلي فى كتابه الأمير الذى نشر عام ١٥١٣ حيث عرض المبادئ والأسس التي تقوم عليها الدولة الناجحة، والقواعد التي يجب أن يسترشد بها القائد الناجح، وحيث أن ميكيافيلي أقام نظرياته على أساس من البيانات التاريخية فيمكن اعتباره كاتباً موضوعياً، كما ظهر كتاب اليوتوبيا عام ١٥١٥ وعلى الرغم من أن ما نشر بهذا الكتاب يمثل اتجاهاً معارضاً لاتجاه ميكيافيلي، إلا أنه يعد مع ذلك خطوة هامة نحو معالجة مشاكل

١- السيد محمد بدوي: علم الاجتماع والمشكلات الاجتماعية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥، ص ٥٣.

الحياة اليومية، وإن كان ذلك قد تم عن طريق رسم صورة "دولة كاملة" يمكن التغلب على كل ما تعانيه من مشاكل^(١).

كما ظهرت بعد ذلك محاولات هامة نحو التحليل الموضوعي للقوى الاجتماعية في كتابات العديد من المفكرين الاجتماعيين ومنهم فيكو Y.B. Vico في كتابه مبادئ علم جديد، ومنتسكيو في كتابه روح القوانين *Esprit des Lois* وكوندرسيه *Acondorcet* في كتابه لوحة تاريخية لتقدم العقل البشري، وسان سيمون *Saint Simon* فلقد أكد على سبيل المثال سان سيمون على أن الإصلاح الاجتماعي يمكن تحقيقه حينما يتم جمع البيانات العلمية أو الواقعية، ويعتقد سان سيمون أن المجتمع حقيقة واقعية ويصلح موضوعا للدراسة العلمية، لأنه يخضع لقوانين ثابتة ولهذا وجب تطبيق القواعد العلمية بدقة على دراسة الظواهر الاجتماعية شأنها في ذلك شأن العلوم الطبيعية تماما، ولقد كشف سان سيمون عن قانونا للتقدم؛ وهو قانون اجتماعي وليس فلسفي كما يظن بعض المفكرين وينص هذا القانون على "أن كل مجتمع يمر تباعا بمرحلة اضطراب تعقبها مرحلة استقرار ثم بمرحلة اضطراب من جديد، وفي مرحلة الاضطراب التي يطلق عليها *Critique* تظهر فيها جميع أعراض الفساد الاجتماعي، مثل ظهور النزعة الفردية والتنافس اللتين يؤديان إلى جميع الشرور وإلى غلبة المصالح الشخصية، ثم يأتي عصر الإصلاح فيقيم فكرة جديدة عن المجتمع، تعمل على تنظيمه، وتضع له قانونه، وتقرض عليه نظامه السياسي، حتى يحل الترابط والتضامن محل التنافر، ولذا يطلق سان سيمون على هذه المرحلة اسم المرحلة العضوية *Organic* ذلك لأن المجتمع يصبح وحدة متماسكة^(٢).

١- عاطف غيث: (١٩٨٨)، مرجع سابق، ص ١٧.

٢- عاطف غيث: (١٩٨٨)، مرجع سابق، ص.ص ١٧-١٩.

وسنتناول فيما يلي الإجابة عن التساؤل التالي:

كيف تطور اهتمام علم الاجتماع بدراسة المشكلات الاجتماعية؟

فى الواقع أنه حتى حلول القرن الثامن عشر لم تكن المشكلات الاجتماعية تدرك باعتبارها مشكلات، فقد كان هناك نوعاً من القناعة^(١). فالفقر ووفيات الأطفال العالية، والأمراض المتوطنة، وسوء التغذية، والأمية، تلك المظاهر السائدة فى المجتمعات البدائية الساكنة، لا يشعر الأفراد فى تلك المجتمعات بوجود مثل تلك المشاكل، لأن مرحلة الوعي بالمشكلة لم تتبلور بعد، أي أن الناس لم يشعروا بعد بأن تلك الأوضاع تهدد رغباتهم، فهم يعتقدون أن هذه الأوضاع جزء لا يتجزأ من كيان المجتمع، وأن ذلك خارج عن إرادتهم، ففي العصور القديمة - كما سبق أن ذكرنا - اهتم بعض المفكرين بظواهر اجتماعية كالفقر، والجريمة، والمرض، والجهل، والحروب والظلم، حيث انزعج أفلاطون وأرسطو من مظاهر الطغيان السياسي وأشارا فى كتابتهما عن تكاليفه، وفى القرون الأخيرة تزايد عدد المفكرين والفلاسفة وطلاب العلم الذين اهتموا بدراسة الظروف الاجتماعية التي جلبت البؤس لكثير من فئات المجتمع، فلقد تميز القرن التاسع عشر بمشاكل العبودية والأمية والفقر والجريمة وإدمان الخمر وكبت النساء والتفكك الأسري ومشاكل أخرى كثيرة، وفى نفس الوقت كانت شعوب أوروبا وأمريكا تعيش مشاكل جديدة متمثلة فى التحضر والتصنيع الذى خلق مشكلات لم تكن موجودة فى الماضى ولقد جلب الكساد الاقتصادي والبطالة وتشغيل الأطفال تدهوراً فى الحياة الاقتصادية وتفكك فى الحياة الأسرية، وكان النمو السكاني المتزايد وتلوث البيئة بشكل سريع دور كبير فى ظهور المشاكل الاجتماعية التي تفاقمت قبل نهاية القرن التاسع عشر.

هذا بالإضافة إلى ما أحدثته الثورة الصناعية من تغيير فى طبيعة العلاقات

١ - عزة صيام: (١٩٩٣)، مرجع سابق، ص ١٥.

الاجتماعية القديمة التي تناسب المجتمعات البسيطة، ولا تلائم التطورات الصناعية الحديثة، وما أحدثه التقدم العلمي الهائل من تغيير فى تفكير الإنسان وإعادة النظر فى موقفه مع الطبيعة، فبعد أن كان خاضعا لها، أصبح مسيطرا عليها، وما أدى إليه ذلك من تعقد للنظم الاجتماعية وتناقضها، وذلك لاحتواء هذه النظم على عناصر جمعت بين القديم الجامد والجديد المتغير، الأمر الذى أدى إلى عدد من المتناقضات فى الحياة الاجتماعية وظهور كثير من المشاكل على المستوى الفردي والجماعي نتيجة سرعة معدلات التغيير الاجتماعي.

ومن هنا أصبح للعلم الاجتماعي ضرورة للسيطرة على مقدرات المجتمع وفهم مكوناته المتعددة، ومحاولة تدعيم نظرة جديدة للحياة فرضتها حتمية التغيير الاجتماعي والعلمي الذى أخذ ينتشر وبسرعة هائلة، وجدير بالذكر أنه كلما ازدادت الاكتشافات العلمية وزاد عمق الانقلاب الصناعي؛ نشطت حركة البحث الاجتماعي التي تستهدف تقديم أكبر قسط ممكن من المعرفة أو المعلومات الدقيقة عن جوانب الحياة الاجتماعية التي يمكن من خلالها مواجهة كافة المشكلات الاجتماعية المترتبة على التغييرات الاجتماعية الحادثة، ومن أهم هذه الدراسات الاجتماعية تلك التي أجريت في أوروبا وخاصة في بريطانيا منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وهي دراسات تشارلز بوث Booth وسيبهومروانترى S. Rowntree والتي كشفت عن العديد من المشكلات الاجتماعية المتعلقة بالحياة الحضرية ومشكلة الفقر، ووضحت أهم العوامل المؤدية إلى حالات الفقر المتطرفة ونها عدم انتظام فرص العمالة، وحالات المرض التي يعاني منها أبناء الطبقات الفقيرة^(١)، حيث كان التحضر والتصنيع فى بداية عهده، ولقد جذبت عديد من المشاكل الاجتماعية اهتمام أفراد المجتمع بدرجة كبيرة واصبح مطلب الإصلاح أمراً

١- عاطف غيث: (١٩٨٨)، مرجع سابق، ص. ٢١-٢٢.

لا مفر منه^(١).

وفى حوالي عام ١٨٦٥ تشك لعلم اجتماع أمريكي أخذ على عاتقه مهمة أساسية وهى تطبيق تاريخ العلم فى دراسة المشكلات الاجتماعية، ومن الطبيعي أن يحتل الإصلاح الاجتماعي مكانة أساسية بين اهتمامات هذا التنظيم العلمي، غير أن انشاقا طارئا قد أصاب هذا التنظيم تمثل فى عدة صور منها:

أولاً: انسلاخ مجموعة من أصحاب الاهتمامات العلمية عن هذا التنظيم مكونين تنظيمات علمية جديدة.

ثانياً: الفصل بين النظرية والتطبيق.

ثالثاً: تدهور التنظيم واختفاؤه.

أدى ذلك إلى أن مقررات المشكلات الاجتماعية أصبحت تدرس فى الجامعة الأمريكية بأساليب متباينة وبشكل عرضي، إلى أن ظهر علم الاجتماع، واخذ على عاتقه دراسة هذه المقررات على نحو دقيق، فقد سلم علماء الاجتماع الأمريكيين بأن السلوك الإنسان محكوم بقوانين طبيعية، وأن على علم الاجتماع الكشف عن هذه القوانين التي تحكم السلوك الإنساني حتى يمكن تطبيق نظرياتهم المتصلة بالحد من الأوضاع السيئة التي تتعرض لها المجتمعات فى ظل ظروف التغير والتحضر والتصنيع كالجريمة والمناطق المتخلفة^(٢)، كذلك المشكلات الاجتماعية التي نجمت عن الحرب العالمية الأولى كالبطالة والفقرة والكساد الاقتصادي، واهتم علماء الاجتماع الأمريكيين بالجانب الأمريقي التطبيقي فى دراسة المشكلات الاجتماعية وذلك فى ضوء قضية عامة يتفق عليها علماء الاجتماع فى أمريكا وهى Give Sociology a Solid Empirical and Practical وهذا معناه أنه بقدر ما يتمتع به علم الاجتماع من أرضية أميريكية صلبة

١- محمد أحمد بيومي: (١٩٩٣)، مرجع سابق ص.٩-١٠.

٢- عزة صيام: (١٩٩٣)، مرجع سابق، ص.١٦-١٧.

بقدر ما يقف على قاعدة علمية متينة^(١).

وفى أواسط القرن العشرين تحول اهتمام علماء الاجتماع إلى مناقشة أمور تتعلق بالمنهج والبناء النظري حيث ظهرت نظريات دوركايم وماكس فيبر بما أدى إلى تعاضم الهوة بين النظرية الاجتماعية وتطبيقاتها على مشكلات اجتماعية محددة، وادى ذلك إلى ادراك الحكومات لأهمية استخدامات علم الاجتماع خلال الحرب العالمية الثانية، ورصدت مبالغ طائلة تدعم البحث التطبيقي خلال فترة ما بعد الحرب، فضلا عن ارتفاع بعض الأصوات كالزنجون للمطالبة بالمساواة، وتعالق هذه الصيحات الاحتجاجية، وخصوصا خلال الخمسينات من القرن العشرين^(٢).

وعلى أية حال فالمشكلات الاجتماعية موجودة سواء اردنا أم لم نرد، فهي تؤثر فينا إلى الحد الذي قد يمكننا من التعرف على بعضها، ولكن القليل منا هم الذين يستطيعون تحديد ووصف الظروف أو العوامل التي تؤدي إلى المشكلات الاجتماعية، وعالم الاجتماع ينظر إلى المشكلة الاجتماعية في سياقها الاجتماعي العام نظرة شمولية لها انعكاساتها على البناء الاجتماعي ككل، ذلك أن مصدر المشكلة هو المجتمع وليس الفرد، فبدلا من أن نفكر في إرجاع المشكلة إلى الفرد علينا أن نتوجه إلى جذورها وأصولها في المجتمع، "الفرد يولد صفحة بيضاء يضع المجتمع بصماته على تلك الصفحة فيشكلها كما يشاء"، وذلك من خلال مؤسساته المختلفة كالأسرة والجيرة وجماعة الرفاق والمدرسة ووسائل الاتصال الجماهيرية والعادات والتقاليد ونظمه الاقتصادية والعوامل التكنولوجية وعوامل التحضر والتصنيع والهجرة والحروب والتغيرات السياسية، وهذا ليس معناه فقط أن المجتمع يؤثر في الفرد؛ بل إن الفرد من ناحية أخرى يؤثر في المجتمع، فمنذ مولد هذا الفرد تحدث عدة تغيرات في الأسرة نظرا لقدم عضو جديد

١- قارى إسماعيل، علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعة ١٩٧٩، ص.ص ١٦-١٧.

٢- عزة صيام: (١٩٩٣)، مرجع سابق، ص.ص ١٧-١٨.

إليها، وفي شبابه قد يلعب هذا الوليد دوراً في التأثير على المجتمع بما ينتجه له هذا المجتمع من أدوار في مؤسساته المتعددة، وتصبح العلاقة بينه وبين المجتمع علاقة تأثير وتأثر، ومن خلال هذه العلاقة ينشأ الفرد فيكون إما صالحاً أو طالحاً.

فالمجتمع هو المسئول عن كل ما يحدث من انحرافات عن القيم والمعايير المقبولة بسبب الاضطرابات التي حدثت في جزء من كيانه، كما أن المشكلة لا ينحصر تأثيرها في عدد ضئيل من الأفراد وإنما يستشري تأثيرها في كل المجتمع، ومن هنا ندرك خطورة المشكلات الاجتماعية إذا عولجت بصورة سطحية متخذة من الفرد نقطة انطلاق لها.

وطالما أن جذور المشكلات الاجتماعية تمتد في حياة الناس وكيان المجتمع، فإنه لا بد وأن تختلف هذه المشكلات من مجتمع إلى آخر، ففي المجتمعات البدائية الساكنة نسبياً - كما ذكرنا سابقاً - يكون الفقر ووفيات الأطفال العالية والأمراض المتوطنة وسوء التغذية والأمية ومع ذلك فإن الأفراد في تلك المجتمعات لا يشعرون بوجود مثل تلك المشكلات، لأن مرحلة الوعي بالمشكلة لم تتبلور بعد، أي أن الناس لم يشعروا بعد بأن تلك الأوضاع تهدد رغباتهم، ولربما يعتقدون بأنها جزء لا يتجزأ من كيان المجتمع، أو أن ذلك خارج عن أيديهم، ولكن في اللحظة التي يبدأ فيها الوعي بوجود تلك المشكلات يبدأ الناس بالحديث عن وجوب إزالة الأوضاع غير المرغوب فيها، أما في المجتمعات المتقدمة السريعة التغير؛ حيث نجد أن الناس أكثر وعياً بما يعانون منه من مشاكل اجتماعية كالمرض النفسي والعقلي والتشرد والبطالة، والجريمة وانحراف الأحداث... الخ ولكن كيف تبدأ عملية الوعي بوجود مشكلة اجتماعية معينة؟

في الحقيقة أن المشكلة الاجتماعية تبدأ بمواقف معينة غير مرغوب فيها، ويبدأ عدد قليل من أفراد المجتمع إثارة بعض التساؤلات حول هذه المواقف، وأن هناك ثمة شيء يجب عمله، ومن هنا ينتشر الوعي الذي شعر به هؤلاء القلة من الأفراد إلى

قطاعات كبيرة من المجتمع، وهنا يبدأ الإحساس الاجتماعي بالمشكلة، هذا الإحساس هو ما نطلق عليه بالوعي، ومع انتشار الوعي يظهر الصراع حول كيفية مواجهة هذه المواقف غير المرغوبة، وينتهي هذا الصراع إلى اتفاق بخصوص الحلول المرغوبة والممكنة ثم مناقشة وسائل تحقيق تلك الحلول، ثم تبدأ أخيراً مرحلة ترجمة الاتفاق على الحلول الممكنة إلى واقع عملي أي عملية الإصلاح الفعلية.

أما عن أهم المهام التي يجب أن يقوم بها عالم الاجتماع عند دراسة المشكلات

الاجتماعية ما يلي:

- ١- ضرورة استخدام المنهج العلمي في الاهتمام بجمع الحقائق المتعلقة بالمشكلة الاجتماعية، فالمشكلة لا تنشأ من فراغ ولكنها حصيلة مواقف سلوكية معينة تراكمت خلال فترات تاريخية متتالية.
- ٢- يجب حصر العوامل التي قد يكون لها اثر على هذه المشكلة، بدون أن نحكم على مدى أهميتها النسبية، فهذه العوامل ليست جميعاً متساوية العلية والدينامية في إبراز المشكلة.
- ٣- التعرف على جذور المشكلة الاجتماعية حتى يمكن تقديم تفسير ملائم لواقعها الحالي، ومن ثم التنبؤ بما سوف تكون عليه في المستقبل.
- ٤- أن يضع في اعتباره كافة خصائص المشكلة الاجتماعية كالنفسية والترابط ..الخ.
- ٥- أن يضع في اعتباره دور التغيير الاجتماعي في نشوء صراعات القيم والأدوار والمكانات والتي من شأنها تؤدي إلى وجود صور من نماذج السلوك المنحرف.

الفصل الثالث

الدراسة السوسولوجية للمشكلات الاجتماعية

مقدمة.

- التفسير الخرافي والميتافيزيقي للمشكلات الاجتماعية.
- التفسير الديني للمشكلات الاجتماعية.
- التفسير الفردي للمشكلات الاجتماعية.
- التفسير السيكولوجي للمشكلات الاجتماعية.
- التفسير الإعلامي للمشكلات الاجتماعية.
- التفسير القانوني للمشكلات الاجتماعية.
- التفسير الفني للمشكلات الاجتماعية.
- التفسير السوسولوجي للمشكلات الاجتماعية.

الدراسة السوسولوجية للمشكلات الاجتماعية(*)

مقدمة:

قبل أن نتناول بالعرض لبعض المداخل السوسولوجية في دراسة المشكلات الاجتماعية لابد وأن نشير في عجالة إلى بعض المحاولات غير السوسولوجية في تناول نفس الموضوع فلقد سبق وأن اشرنا في موضع سابق من هذا الكتاب أن محاولات تفسير الإنسان للمشكلات الاجتماعية قديمة قدم المجتمع الإنساني نفسه، ولقد تباينت هذه المحاولات فمنها محاولات ميتافيزيقية، ودينية، وبيولوجية، وفردية أو شخصية ونفسية، وقانونية وإعلامية، وفنية، ولتوضيح هذه العبارة يمكن القول أنه منذ عدة قرون مضت كان رجال اللاهوت يرجعون السلوك الخاطئ إلى قوى خارقة للطبيعة حيث أن التفسيرات المبكرة للمشكلات الاجتماعية مالت إلى تأكيد الأسباب الروحية، فالأزمات التي يتعرض لها الإنسان تعد بمثابة من الشيطان، أو حلول روح شريرة تستحوذ على الأفراد وتفرض عليهم تلك الأزمات، ويتضح لنا هنا أن المراحل الأولية من مراحل التفكير الإنساني في تفسير المشكلات الاجتماعية كان تنسم بالطابع الخرافي والميتافيزيقي، وهى بذلك تبعد كل البعد عن الاتجاهات العلمية السليمة حيث كانت تستند إلى تأملات الفلاسفة أو رجال الدين اللاهوتي أو رجال الإصلاح الاجتماعي أو أصحاب السلطة، فمثلا يرى سقراط أن الفرد لا يقبل على فعل الشرع وعي وإدراك كاملين، ولكن يتم ذلك نظرا للجهل وانعدام البصيرة، ولو عرف الإنسان الفضيلة لأقدم عليها، فالجهل هو أساس الرذيلة، أما السلوك فمرده إلى العلم^(١).

التفسير أو المدخل الديني لتفسير المشكلات الاجتماعية يمكن القول أن رجل

* قام بإعداد هذا الفصل أ.د. السيد عوض علي.

١- R. L. Horton and R. H. Hermanson: Social Problems, U.S.A: Learning System, Co., ١٩٧٥, P٧٤.

الدين يتناول المشكلة الاجتماعية من خلال بعدا الناس عن الالتزام بأداء واجباتهم الدينية، فالمشكلة الاجتماعية من وجهة نظر الدين هي أى فعل يمثل خروجاً على النظام الذي يعتقد أنه من وضع الله أى الدين، فالقواعد والتشريعات الدينية يمكن من خلالها تحديد وتفسير المشكلات الاجتماعية حيث نجد الخير والشر، والمقدس والمدنس، والمشكلات الاجتماعية بمثابة تعديات على النظام الأخلاقي المقدس، وتعد بمثابة مظاهر للشر والخطيئة الأصلية.

وجهات نظر فردية فى تفسير المشكلات الاجتماعية :- أن رجل الشارع يتناول المشكلة الاجتماعية من خلال وجهة نظر وحيدة وخاصة، حيث يرجع المشكلة إلى سبب واحد، كما أن وعيه بالمشكلة يتخذ اتجاهاً محدداً يغلب عليه الإحساس بمشكلة معينة يعانها هو فعلاً أو يكون شديد الصلة بها بطريقة ما.

التفسير السيكولوجى للمشكلة الاجتماعية:- يحدد علماء النفس المشكلة باعتبارها أى موقف يتم فيه إشباع غريزة الإنسان بطريقة شاذة.

المشكلة الاجتماعية من وجهة نظر رجال القانون هي كل فعل يجرمه القانون ويعاقب عليه مرتكبيه حسب نصوص قانونية، والمشكلات الاجتماعية من وجهة نظر القانون تمثل تعديات على النظام المعياري، والمشكلة الاجتماعية واقعة قانونية قد تصنف مخالفة أو جنحة أو جناية.

المدخل الإعلامى لتفسير المشكلات الاجتماعية؛ فإنه يمكن القول أن لهذا المدخل العديد من الوسائل منها الراديو والتلفزيون، والصحافة والقنوات الفضائية... الخ فجميع هذه الوسائل تعرض موضوعات عن المواقف الاجتماعية والمشاكل التي تعاني منها الجماهير وتقوم الجماهير بتكوين رأيها بناء على ردود الأفعال المنعكسة داخلهم نتيجة لتفسيرات ممثلي وسائل الاتصال، فالصحافة على سبيل المثال كانت منذ القرن الثامن عشر بمثابة أداة للتحدي ومهاجمة الاستغلال والتفكك والانحراف فى المجتمع، وتعتبر الصحافة اليوم

بمثابة وسيلة فعالة لإثارة استجابات أفراد الشعب ضد الفقر والتخلف والجريمة والبلغاء وانحراف الأحداث وعدد من الأمراض الاجتماعية الأخرى.

التفسير أو المدخل الفني للمشكلات الاجتماعية فإن هذا المدخل له مظاهر متعددة منها الأعمال الأدبية والتصوير، والشعر والموسيقى، والطباعة والمسرح.. الخ، فمعظم الأعمال الأدبية على سبيل المثال كان أكثر قدرة على وصف المشاعر الإنسانية في أدق تفاصيلها، فهي تصور المواقف والمشكلات الحياتية بصورة عميقة تكشف عن خصوبة الواقع الاجتماعي، وعن تعقد علاقة الإنسان بهذا الواقع، ويقول ريتشارد هوجارت Richard Hoggart "بدون الشواهد الأدبية الخصبة يفقد دارس المجتمع حسه بئراء وخصوبة المجتمع، فالأدب بوصفه انعكاسا للقيم والمشاعر يشير إلى درجة التغيير الذي يلحق بالمجتمعات المختلفة والمشكلات الاجتماعية الناجمة عن هذا التغيير"، ولماذا نذهب بعيداً فلقد كانت الروايات التي كتبها الأديب المصري الشهير نجيب محفوظ ومنها القاهرة الحديثة، وبداية ونهاية، وزقاق المدق، وخان الخليلي، بين القصرين، والسكرية، وقصر الشوق، تلك الروايات تحمل في طياتها تعبيراً عن تفاصيل السياق الاجتماعي والتاريخي وما يتضمنه هذا السياق من مواقف ومشكلات، ولذا فإن شيوع اتجاه Art for Art sake أي الفن للفن يمكن أن يكون تعبيراً صادقا عن المشكلات الموجودة محليا أو عمليا كالفقر والظلم واللامساواة، بل وإثارة انتباه الناس وشعورهم بالمشاكل الاجتماعية والأخلاقية.

وبعد هذا العرض للمداخل غير السوسولوجية في تناول المشكلات الاجتماعية يمكن لنا أن نتناول بعض المحاولات السوسولوجية في دراسة المشكلات الاجتماعية طبقاً لوجهة نظر بعض علماء الاجتماع، ويمكن أن نعرض لبعض هذه المحاولات في ضوء المداخل التي اقترحوها ومن أهم هذه لمداخل ما يلي:

- ١- مدخل الباثولوجيا الاجتماعية: Social Pathological approach.
- ٢- مدخل المشكلات الاجتماعية Social Problems approach.
- ٣- مدخل التفكك الاجتماعي Social Disorganization approach.
- ٤- مدخل الانحراف الشخصي Personal Deviation approach.
- ٥- مدخل صراع القيم Value Conflict approach.
- ٦- مدخل التخلف الثقافي The Culture lag approach.
- ٧- مدخل دراسة المجتمع المحلي The Community study approach.

١- مدخل الباثولوجيا الاجتماعية: Social Pathology Approach

لاشك أن علم الأمراض مستعار من علم الطب، حيث كان وما زال يستخدم للإشارة إلى علم أو دراسة المرض، أما استخدام هذا المفهوم في علم الاجتماع فقد كان يهدف إلى الإشارة للظروف الاجتماعية المرضية التي يخلقها وينميتها النظم الاجتماعيين فالظواهر المرضية غير السوية ما هي إلا أمراض اجتماعية تخلق العديد من المشكلات الاجتماعية، وتمتد جذور هذا المدخل إلى كتابات علماء الاجتماع الأوائل أمثال أوجست كونت وهريت سبنسر، ثم اخذ هذا المدخل أبعادًا متعددة على أيدي الجيل الأول من علماء الاجتماع الأمريكيين^(١).

ولكن من هو المريض. ومن مصدر المرض؟ هل المجتمع هو المريض أم الفرد؟ وهل الأفراد هم مصدر المشكلات الاجتماعية أم المجتمع هو مصدر المشكلات الاجتماعية؟

على أية حال يقوم هذا المدخل على افتراضين متناقضين؛ الافتراض الأول هو أن الأفراد هم مصدر المشكلات الاجتماعية، فالأفراد هم المرضى وليس المجتمع،

١- محمد أحمد بيومي: (١٩٩٣)، مرجع سابق، ص.ص ٤٤-٤٥.

فالمجتمع يتطور بطريقة إيجابية وأن الظروف الاجتماعية التي تضعف هذا التطور يمكن تعريفها على أنها أشكال من المرض لاجتماعي الذي يحتاج إلى علاج، حيث عرض هيربرت سبنسر في كتابات فكرة تشبيه المجتمعات بالكائن العضوي، فالمجتمعات شأنها شأن الأفراد يمكن أن تنمو بطريقة غير سوية وأنه يمكن تشخيصها ووضعها في ضوء معيار الصحة.

والمشكلات الاجتماعية في ضوء الافتراض الأول من هذا المدخل ترجع إلى وجود الضعفاء والعاجزين من الأفراد، فالجريمة والفقر والجهل كمشكلات كانت تنسب إلى الطبقات الدنيا ومهاجري الشرق وأوروبا الغربية والملونين، هؤلاء الأفراد الذين أشار إليهم علماء الاجتماع والباثولوجيا على أنهم كائنات إنسانية معتلة وغير سوية. وترى الباثولوجيا الاجتماعية أن المجتمع يتكون من أفراد، وأن هؤلاء الأفراد يرتبطون معا بعلاقات اجتماعية، وأن عدم قدرة الأفراد على التكيف في العلاقات الاجتماعية هو ما نعني به بالباثولوجيا الاجتماعية.

أما الافتراض الثاني؛ وهو أن المجتمع هو المريض وليس الفرد، ولعل جدير هذا الافتراض ترجع إلى فلسفة جان جاك روسو حيث يرى أن الإنسان طيب بفطرته، وأن حياة المجتمع قد غيرت فطرته وجعلته يميل من الخير إلى الشر، ومن التلقائية والصراحة إلى الزيف والرياء والنفاق، فالإنسان في عهده الأول كان يعيش وحيدا ولا يعرف اللغة ولا الكلام ولا يمتلك شيئا ولا يخضع لحكومة معينة، ولا يفهم معنى الدين وليست له مثل عليا يسعى ورائها، ولكنه رغم هذا الجهل بالنظم الاجتماعية كان سعيدا هائنا ذلك لأن كل ما هو طبيعي حسن وكل ما هو من صنع الإنسان فاسد وقبيح^(١).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن آراء روسو لا تتفق مع فلاسفة عصره أمثال فولتير وكندرسية وغيرهم، حيث أن هذه الأفكار لا تليق بما ارتفع إليه الإنسان في العلم والذكاء،

١- السيد محمد بدوي: (١٩٩٥)، مرجع سابق، ص.ص ٧٠-٧١.

وقد سخر فولتير من هذه الآراء في خطاب أرسله إلى روسو وقال فيه "لو عاد الناس إلى الحالة البربرية التي تتمناها لساروا على أربع".

ولقد تناول عدد كبير من العلماء قضية أن المجتمع هو المريض وليس الفرد ومنهم على سبيل المثال ايريك فروم Erich From وهربرت ماركيزوز Herbert Marcuse وتشارلز ريش Charles Reich وفيليب سلاتر Philip Slater وغيرهم من العلماء^(١)، حيث يرى ايريك فروم في كتابه The Sane Society المجتمع العاقل أن المجتمع المريض والثقافة المريضة لا بد وأن تخلق أفرادًا مرضى، وأنه حينما يكون المجتمع عاقلًا فإنه يساعد أفراداه على نمو عقولهم وإدراكهم إلى درجة من الموضوعية تسمح لهم بأن يروا حقيقة أنفسهم وحقيقة الآخرين وحقيقة الطبيعة، انه مجتمع ينمي أفراداه إلى درجة من الاستقلال تمكنهم من معرفة الفرق بين الخير والشر، وتحديد اختياراتهم الشخصية، وهو مجتمع ينمي في أفراداه القدرة على الحب لأطفالهم، وجيرانهم، ولكل الناس، ولأنفسهم، ولطبيعة أو الدنيا كلها، فيه يشعر الإنسان بالتوحد مع الكل، ومع ذلك يحتفظ بإحساسه بالفردية وبالأمانة^(٢)، ويستطيع أن يعطي الطبيعة بالابتكار وليس بالتقدير، ويمكن أن نستخلص من ذلك أن المشكلات موجودة في قلب المجتمع قبل أن تكون موجودة في قلب الأفراد ومن ثم فقد شخص هؤلاء العلماء مشكلات مجتمعهم على أنها تنتمي إلى قلب المجتمع المريض في هيكله البنائي.

ويتفق أنصار هذا المدخل على أن علاج المشكلات الاجتماعية يكمن في تغيير قيم الناس، وأن الحل الطبيعي عندهم يكمن في التربية الاجتماعية، وعلى قدر نجاح المجتمع - من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية - في تزويد الأفراد بالمعايير

١- عزة صيام: (١٩٩٥)، مرجع سابق، ص ٦٦.

٢- Erich From: The San Society, ٥th, London, Routledge&KeganPaulm ١٩٧٦, pp: ١٥-١٧.

الاجتماعية الأخلاقية، يمكن الحكم على أفراده بالمرض أو السواء، فالمرض فردي واجتماعي في آن واحد، وأن المشكلة الاجتماعية هي محصلة لباثولوجيا فردية وظروف اجتماعية مرضية تضافرت معا في نسيج واحد قوامه سوء التكيف سواء في أداء الأدوار أو في تحقيق العلاقات الاجتماعية التي ينعكس جميعها على البناء الاجتماعي ووظائفه الأساسية^(١).

٢- مدخل المشكلات الاجتماعية Social Problems Approach

يعد هذا المدخل من أعم وأقدم المداخل التي تناولت دراسة المشكلات الاجتماعية وذلك على حد تعبير عالم الاجتماع هرمان Herman حيث فرق بين نوعين من الدراسات التي تناولت هذا المدخل^(٢):

الأولى: هي تلك الدراسات التي تعالج مجموعة كبيرة من المشكلات الاجتماعية دفعة واحدة وهو ما نراه في كثير من المؤلفات والكتب التي تتناول بالدراسة مجموعة ضخمة من المشكلات الجريمة والخلل العقلي والانتحار... الخ.

أما النوع الثاني من تلك الدراسات فهي التي تختص بدراسة نوع واحد من المشكلات دراسة مستفيضة مركزة كدراسة الجريمة أو إدمان المخدرات بحيث تشمل كتاب كامل أو مؤلف كبير على دراسة مشكلة واحدة فقط.

ويهدف النوع الأول من تلك الدراسات إلى إلقاء الضوء على ظاهرة المشكلات الاجتماعية فتدرس كل مشكلة على حدة من حيث مدى انتشارها والشك الذي تأخذه أو الكيفية التي تعبر بها عن نفسها وأسبابها وأثرها على الفرد والمجتمع والوسائل الكفيلة بالسيطرة على تلك المشكلة.

١- عزة صيام: (١٩٩٥)، مرجع سابق، ص.ص ٦٦-٦٧

٢- محمد الغريب عبد الكريم: علم الاجتماع، القاهرة، دار نهضة الشرق، ١٩٨٠، ص.ص ١٦٤-١٦٦.

أما النوع الثاني فهو يتخذ نفس هذه الخطوات مع التركيز على مشكلة واحدة مما يعطي الدراسة تركيز واستفاضة أكثر.

ومن مميزات هذا الاتجاه ما يلي:

- ١- إبراز حيز المشكلات الاجتماعية ودق ناقوس الخطر منبها إلى وجودها ونبذ الفكرة الشائعة لدى عامة الناس من سهولة المشكلات الاجتماعية وإمكان حلها.
- ٢- الفائدة التي تعود على بعض المشتغلين في المجالات المهنية العملية كالأخصائيين الاجتماعيين من حيث إمدادهم بمعلومات سريعة ومتعددة من المشكلات التي يحاولون التخفيف من آثارها على المجتمع وأفراده وخاصة في النوع الثاني من الدراسات وإن كانت لا تفيد في إثراء النظرية السوسولوجية أو المعرفة النظرية من ظاهرة المشكلات الاجتماعية.

أما عن مساوئ هذا الاتجاه فهي تنحصر في ميل تلك الدراسات التي تجزئ الظاهرة بمعنى دراسة المشكلة الاجتماعية المعنية، كظاهرة اجتماعية قائمة بذاتها وليس في ضوء علاقتها بالمشكلات الأخرى وبالظواهر الأخرى في المجتمع، أو بمعنى آخر بعدم ربطها بإطار نظري شامل يمكن أن تفسر في ضوءه.

ولقد أوضح هرمان Herman أن هناك علاقة متبادلة بين المشكلات جميعا وهذا يتضح مما يلي:

- ١- أن الدراسات والبحوث أوضحت أن هناك عناصر وجوانب مشتركة تساهم في إثارة بعض المشكلات الاجتماعية المختلفة كتفكك الأسرة والطلاق والجريمة والتمييز العنصري.

٢- أن التصنيع ونمو المدن له آثار بالغة كأساس لإثارة مجموعة كبيرة من المشكلات لا يمكن دراسة مشكلة منها بعيدا عن الأخرى.

٣- أن كثير من الدراسات أوضحت أن أساس المشكلات الاجتماعية يكمن في التغيير

الاجتماعي فهو يكون سببا عاما مشتركا لجميع المشكلات.

ولذلك يرى هرمان ضرورة عدم الأخذ بمبدأ التجزئة في دراسة المشكلات الاجتماعية.

٣- مدخل التفكك الاجتماعي: Social Disorganization Approach

ينطلق هذا المدخل أساساً من بعض الأفكار والتوجهات التي تسلم بأن الحياة الاجتماعية تسير بشكل منتظم وفق مجموعة من القواعد المعيارية التي تحكم سلوك الأفراد والجماعات في المجتمع، وهذه القواعد تحدد السلوك المسموح والمفضل والسلوك المستهجن، وهناك مستويات من هذه القواعد المعيارية، وهي ما تعرف بالقوانين والتي تفرض عقوبات معينة تبدأ بالغرامة أو السجن المؤقت أو السجن مدى الحياة، وقد تصل إلى حد الإعدام في حالة انتهاك هذه المعايير، فالقاتل أو الذي يتخابر ضد أمن الوطن توقع عليه أقصى العقوبة، أما الذي يترك سيارته في مكان غير مخصص لانتظار السيارات فيعاقب بالغرامة، والمطعم الذي يخالف الشروط الصحية في أحد المطاعم قد تؤدي هذه المخالفة إلى غلقه وتفاوت مدة الغلق وفقاً لدرجة انتهاك القواعد الصحية.

وهناك قواعد معيارية أخرى ولكنها أقل في قوتها من القواعد القانونية وهي متمثلة في العادات والتقاليد والأعراف، والتوقعات المختلفة، فنحن نتوقع مثلاً أن تحب الأم طفلها، وان ينفذ رجل الشرطة القانون، وان يصل العامل إلى مكان عمله في الموعد المحدد.. الخ من هذه التوقعات التي لا نلاحظها طالما أنها تتماشى مع قيم المجتمع المتعارف عليها، وهذه الشبكة من التوقعات المسموح بها اجتماعياً من السلوك الشخصي، تعرف بما يطلق عليه عالم الاجتماع بالتنظيم الاجتماعي Social organization وتتشكل بواسطة أفراد المجتمع وتؤكد الأداء الفعال لوظيفة المجتمع في مواجهة التغيير السريع غير المتوقع، ويتصرف الناس عادة كما يتوقع الآخرون منهم أن يتصرفوا وفقاً

للمعايير الأخلاقية التي تحدد الصواب والخطأ والمستحسن والمقبول.. الخ^(١).

وعلى أية حال فإن التفكك الاجتماعي يرجع إلى العملية الأكبر وهي التغيير الاجتماعي - فالتغيير الاجتماعي كما يقول روبرت بارك Robert Park يؤدي إلى التفكك الاجتماعي، فكل شيء في حالة تهيج، وكل شيء يبدو انه عرضة للتغيير، وأن أى شكل من أشكال التغيير ينتج عنه تحول وتبدل يمكن قياسه في روتين الحياة الاجتماعية ويميل إلى أن يحطم العادات التي يقوم عليها التنظيم القائم، وكل وسيلة جديدة تؤثر في الحياة الاجتماعية والنظام الاجتماعي لها تأثيرها الواضح في التفكك، وكل اكتشاف جديد، وكل اختراع جديد، وكل فكرة جديدة تعتبر شيئاً مزعجاً وقلقاً، ومن الواضح أن أى شيء يجعل الحياة أكثر جاذبية وتشويقاً يعتبر خطراً على النظام القائم^(٢).

فالتغيير الاجتماعي يؤدي إلى غياب الانسجام القائم بين الأجزاء المكونة للبناء الاجتماعي والذي كان يعمل على توازنه، وفقدان هذا الانسجام يؤدي إلى حدوث التفكك الاجتماعي الذي يؤدي إلى خلق ممارسات جديدة لم تكن موجودة من قبل واختفاء الممارسات القديمة لعدم ملائمتها مع الظروف المستحدثة ومن هنا تظهر المشكلات الاجتماعية ولذا فإن الباحث الذي يحاول فهم المشكلة الاجتماعية في ضوء مدخل التفكك الاجتماعي عليه أن يحدد نقطة الصفر أى تلك النقطة التي حدث فيها تغيير اجتماعي، وأن يبحث بتأني فترات الاستقرار الاجتماعي التي سبقت حدوث التغيير المؤدي إلى التفكك، وما هي الظروف التي أدت إلى خلق هذا التفكك وأدت بالتالي إلى ظهور المشكلة التي هو بصدد دراستها ومن التساؤلات التي يسعى للإجابة عليها ما يلي^(٣):

١- كيف كانت القواعد والممارسات التقليدية؟

١- محمد أحمد بيومي: (١٩٩٣)، مرجع سابق، ص.ص ٦٤-٦٥.

٢- سناء الخولي: (١٩٨٥)، مرجع سابق، ص.ص ١٧٠-١٧١.

٣- محمد احمد بيومي: (١٩٩٣)، مرجع سابق، ص.٦٨.

- ٢- ما نوعية التغيرات التي جعلت هذه القواعد والممارسات غير فعالة؟
- ٣- أي من النظم القديمة قد انهيار؟ وما مدى هذا الانهيار؟ وما هي الأسباب الجوهرية التي أدت إلى انهياره؟
- ٤- هل التغيير الاجتماعي مستمر. أم يحدث على فترات متباعدة، وما هي سرعة التغيير؟ وفي أي اتجاه يسير؟ وما هي نوعية هذا التغيير تلقائي أم مخطط؟
- ٥- ما هي الجماعات التي ترفض هذا التغيير ولماذا؟ وما هي الحلول البديلة التي تقترحها؟
- ٦- كيف تتوافق هذه الحلول مع اتجاه التغيير الاجتماعي؟
- ٧- ماذا يمكن أن يحدث للنظم الاجتماعية التي تحظى بالقبول في الوقت الحاضر عندما يعترئها التغيير؟

وإذا كان التغيير الاجتماعي يؤدي إلى حدوث تغيير في العلاقات الإنسانية في المجتمع بما يؤدي إلى ظهور مشكلات اجتماعية إلا أنه بمرور الوقت يعود المجتمع إلى تنظيم جديد يوافق الأوضاع الجديدة، ومثال ذلك ما يحدث عند تغيير مجتمع قروي إلى مجتمع حضري^(١)، فالتحضر يؤدي عادة إلى ضعف في العلاقات بين الناس في نفس الجيرة، والسكان في أي عمارة من المدن الكبرى يعرف هذا حق المعرفة، فقد تمر أعوام دون أن يتعرف على جيرانه في نفس العمارة، وقد يتعرف على شخص في النادي أو في العمل ثم يكتشف أنه جار له في نفس الشارع، وقد يمر العيد دون أن يتبادل التهنة مع سكان نفس المنزل وغير ذلك من مظاهر الفردية والتحوصل الاجتماعي، إلا أن الفرح في الحى هو فرح للجميع، والخبر الصغير يسرى في المنطقة سريان البرق، والسم يقرأ في الطريق كلما مر بجيرانه إلى غير ذلك من مظاهر التمسك الاجتماعي، فالمدينة في

١- عبد المنعم شوقي: مجتمع المدينة والاجتماع الحضري، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٧م، ص.ص ١١-١٣.

البلاد غير المصنعة تنقسم عادة إلى قسمين كبيرين؛ قسم تطورت فيه العلاقات الاجتماعية فزاد التباعد بين سكان الجيرة الواحدة، وقسم آخر لا زالت العلاقات الريفية مسيطرة عليه إلى حد كبير، فهو بذلك أكثر تماسكا وترابطا من القسم الأول، ومع ذلك فإن ظاهرة التفكك الاجتماعي السائدة في بعض أحياء المدينة تقابلها ظاهرة الترابط التخصصي، حيث ما نلاحظه من ترابط بين ذوي المهنة الواحدة، وذوي الميل الواحد، حيث تتكون الصداقات أو علاقات الصداقة من بين ذوي المهنة الواحدة أو بين المهتمين بلعبة أو هواية مشتركة دون مراعاة لقربهم أو بعدهم من الناحية السكنية أى أن هناك ارتباطا تخصصيا أكثر من الارتباط الوظيفية^(١).

والتفكك الاجتماعي بصفة عامة يشير لى عدم قدرة النسق الاجتماعي على تأدية وظائفه فى إشباع احتياجات أعضائه حيث لا تحقق أهدافه الجمعية واحد أو أكثر من متطلبات النسق الوظيفية، ومن مظاهر فشل المجتمع أو النسق الاجتماعي فى أداء وظائفه ما يلي:

- ١- عدم التنشئة الاجتماعية السليمة للأطفال داخل الأسر.
- ٢- فشل الدور الديني الذي تؤديه دور العبادة.
- ٣- فشل المجتمع فى أداء وظيفته الاقتصادية من حيث الإنتاج وتوزيعه وتوزيع الثروة.
- ٤- فشل المجتمع فى تحقيق النجاح السياسي من حيث منع الجريمة والانحراف الاجتماعي بصوره المختلفة وتقديم الخدمات للمجتمع المحلي والدفاع عن الأمة.
- ٥- ظهور أنماط من السلوك الاجتماعي غير المتمسك بها.
- ٦- التوترات الشخصية التي تسيطر على النسق ولا يمكن التحكم فيها حيث تتخذ قنوات معينة.
- ٧- الارتباط غير المتوافق بين النسق الاجتماعي والبيئة التي يقع فيها، سواء من حيث

١- المرجع السابق: ص.ص ١٥٠-١٥١.

ضبطها و التكيف معها.

٨- عدم تجانس العلاقات بين الأعضاء ولو إلى الحد الأدنى الضروري للأنشطة ذات القيمة.

٩- عدم إمكانية وصول الأعضاء إلى أهداف تبرر وجودهم بسبب بناس النسق الاجتماعي.

٤- مدخل الانحراف الشخصي: Personal Deviant Approach

إذا كان مدخل التفكك الاجتماعي يحاول فهم المشكلات الاجتماعية من خلال عملية التغيير الاجتماعي والانهيال الذي يصيب بعض أجزاء البناء الاجتماعي نتيجة لهذا التغيير، حيث يأخذ في اعتباره عدة أبعاد مختلفة كالأفراد الموجودين داخل النسق، والقيم الموجهة لهذا النسق، والتغيير الذي طرأ عليه، والتفكك الذي أصابه، وكيف أن هذا التفكك أدى إلى حدوث مشاكل اجتماعية صاحبت النظم الاجتماعية التي ظهرت، إلا أن أنصار مدخل الانحراف الشخصي يركزون فقط على الأفراد باعتبارهم أساس وجود المشكلات الاجتماعية، حيث أنهم انصرفوا عن معايير المجتمع وقيمه السائدة وهذا الانحراف يتخذ عدة صور منها^(١):

(١) عدم القدرة على إتباع معايير المجتمع وقيمه السائدة:

فقد يعجز بعض الأشخاص حسب تكوينهم البيولوجي والاجتماعي عن التمسك بطريقة توافقية بالمستويات المعيارية المقبولة فهم عاجزون بيولوجيا وعاطفيا واجتماعيا، والعاجزون اجتماعيا لا يستطيعون مخالفة المعايير المقررة، وإنما يظهرون عدم قدرة على التعليم وتباع هذه المعايير، فمدمني المخدرات والمشروبات الكحولية ولاعبي القمار مثلا يمكنهم تغيير أنماط سلوكهم المنحرفة، ومعظم هؤلاء الأفراد كانوا يتمسكون في وقت مبكر من حياتهم بالمعايير التي كان يقررها المجتمع، ولكن لأسباب ما اجتماعية أو

١- محمد احمد بيومي: (١٩٩٣)، مرجع سابق، ص.ص ٦٨-٧٣.

سيكولوجية لم يستطيعوا التحكم فى سلوكهم، وخالفوا توقعات المجتمع بهذا السلوك المنحرف، مثل هؤلاء فى حاجة إلى رعاية اجتماعية وعلاج طبي.

(٢) الفشل فى قبول معايير المجتمع وقيمه:

حيث أن فشل الأفراد فى قبول معايير المجتمع وقيمه السائدة قد يؤدي بهم إلى الانزلاق فى ممارسات انحرافية كالغش والكذب والرشوة وخيانة الأمانة والإساءة إلى سمعة الآخرين وإدمان الخمور والمخدرات وممارسة أعمال البلطجة والعنف بصوره المتعددة... الخ، مع ملاحظة أن هؤلاء الأفراد لا يعتبرون سلوكهم هذا انحرافا بل هو سلوكا مثاليا من وجهة نظرهم، ومن ثم فهم لا يشعرون بالذنب أو العار تجاه هذا السلوك المنحرف، ويصف علماء النفس هؤلاء الأفراد بأنهم يعيشون فوضى أخلاقية نتيجة لفشلهم فى قبول المعايير الاجتماعية، كما أن هؤلاء الأفراد غالبا ما ينخرطون فى جماعات متطرفة ويندمجون فيها بشكل كبير وتتولد لديهم مشاعر الكراهية وعدم التسامح والإيمان الأعمى وولاء القلب الواحد... الخ.

وتكمن مشكلة الانحراف الشخصي فى أن الشخص يتعرض نتيجة للتغيير الذي يحدث فى حياته إلى مجموعات مختلفة من المعايير والتي قد يكون متعارضة مع بعضها البعض، فقد يكون الفرد منتما إلى أكثر من مؤسسة كالمؤسسة الدينية والاقتصادية والترفيهية والسياسية.. الخ، وقد يكون اشتراكه فى احد هذه المؤسسات يتعارض مع مؤسسة أخرى، ولكن فى الغالب يستطيع الفرد أن يتكيف مع مثل هذه المواقف ويحدث توافق مع أعضاء الجماعات التي ينتمي إليها، أما إذا لم يستطع التوافق فهنا فقط يواجه الفرد بمشكلة، وفى هذه الحالة يقع الفرد فى صراع القيم أو المعايير، وعلى أية حال فإن الجماعة التي ينتمي إليها الفرد تحدد بشكل كبير سلوكه، ومن ثم ينبغي عند تفسير الانحراف الشخصي الرجوع إلى الجماعات المرجعية التي ينتمي إليها الفرد، فلقد أظهرت النتائج التي أجريت على صور متعددة من أنماط تكمن فى عدم قدرة الفرد على المشاركة

فى العملية الاجتماعية أو الفشل فى عملية المشاركة، وانه حينما يفشل الفرد فى قبول المعايير وينخرط فى السلوك الانحرافى فإننا سوف نجد:

أ - جماعة أخرى لا تتوافق مع معايير المجتمع، ويمثل سلوكها انحرافاً ظاهراً، وهذه الجماعة تكون بمثابة المرجع الذى يلجأ إليها هذا الفرد المنحرف.

ب- ثقافة فرعية منحرفة تتفق مع مبادئه ومعاييرها التى يؤمن بها أو أجبر عليها.

ج- التهكم المباشر على القيم والمعايير المقبولة فى المجتمع بوجه عام وهناك مظاهر عديدة توضح لنا صور الخروج عن معايير المجتمع المقبولة بصفة عامة منها انتهاك قوانين المرور، التهرب من دفع الضرائب المقررة، استغلال النفوذ فى القيام بأعمال انحرافية، وتحدث مثل هذه الأفعال الانحرافية عندما يفشل الأفراد فى ضبط أو تعديل سلوكهم حسب المعايير المقررة داخل المجتمع، ومن ثم يخلقون مواقف تتصل مباشرة بظهور المشاكل الاجتماعية.

٥- مدخل صراع القيم أو القيم المتصارعة: Values Conflict

ترتبط القيم الاجتماعية بالمشكلات الاجتماعية، ويظهر هذا الارتباط من خلال تدخل القيم فى موقفين أساسيين هما:

الموقف الأول:

ويتجلى هذا الموقف فى حالة حدوث تعارض أو تناقض بين القيم من خلال تعبيرات الناس والسلوك الفعلى لهم.

الموقف الثانى:

ويظهر ذلك حينما يكون هناك صراع فى القيم بين التجمعات الفرعية المتباينة فى المجتمع Su-groupings، ومثال ذلك التضارب بين قيم الطبقات الغنية والوسطى والفقيرة فى المجتمع، أو التضارب بين قيم المتعلمين وغير المتعلمين أو المتعلمين بين قيم المتدينين وغير المتدينين وهلم جرا.

وكما يقول فيشر J. H. Fichter أن أهم ما يؤخذ في الاعتبار هو أن أية مشكلة اجتماعية يتم تحديدها أو تعريفها في ضوء التفاوت بين مسوى القيم الاجتماعية ومستوى السلوك الاجتماعي^(١).

ويمكن أن نوضح ذلك من خلال:

أولاً: المعايير الاجتماعية: Social Norms

وتعد المعايير الاجتماعية أمر جوهري في أي مجتمع، حيث أنها تحدد مستويات سلوك الناس Standards of behavior التي تركز على المعتقدات beliefs والمثل ideals التي يقرها المجتمع، وتعد بمثابة مستوى أو معيار تجاه ذلك السلوك الاجتماعي الذي يقدره الأفراد والجماعات حيث أن تجديد شيئاً ما على أنه حسن أو رديء أو تحديد حالة معينة على أنها مرغوبة أو غير مرغوبة أمر يركز على ما تقرره القيم الاجتماعية، والقيم الاجتماعية دائماً تكون خارج متناول الناس، وانها تعد بمثابة شيء ما يكافحون من أجله، ولذلك فهناك فجوة بين القيم الاجتماعية وسلوك الناس في المجتمع الذي لا يكون متفقاً مع تلك القيم بصورة مطلقة، وهذا الموقف يخلق مشكلات اجتماعية، وهذه القضية يمكن أن تنسب إلى القيم الاجتماعية.

ثانياً: انه على الرغم من التأثير الموحد للقيم الاجتماعية على الناس في المجتمع؛ إلا انه توجد حالات متكررة من الصراع بين مجموعة من القيم ضد مجموعة أخرى، وربما تكون الجماعات في المجتمع في حالة منافسة أو ندية من اجل زيادة التأثير أو التحكم في المجتمع، فقد يحدث صراع بين القيم الدينية من ناحية والقيم السياسية أو الاقتصادية من ناحية أخرى، حيث أن إعطاء الصدقة أو الإحسان للفقراء ونقشى ظاهرة التسول في ثقافات معينة يوضح مثالا للصراع بين القيم الدينية والاقتصادية، ويؤدي ذلك إلى ظهور مشكلات اجتماعية، فالقيم الاقتصادية المتعلقة باستخدام عمالة الأطفال قد

١- Ficher, J. K: Sociology, Chicago University of Chicago Press, ١٨٦٤, p.٣٠٨.

تصطدم بالقيم الدينية والأخلاقية، حيث يؤدي ذلك إلى قطاع كبير من المجتمع يخلق شبابا غير متعلما، هؤلاء الذين يعملون مبكرا، ويتركهم بدون الحصول على فرصة التعليم، وذلك يؤدي دون شك إلى خلق مشكلات اجتماعية كجناح الأحداث والبطالة والفقير، ويحدث ذلك فى حالة أي مجتمع ديمقراطي الذي يسمح بأسلوب تتباين فيه القيم، وميكانيزمات تسوية القيم المتصارعة الذى يكون من نتائجه وجود أكبر للمشكلات الاجتماعية الكبرى التي تظهر من خل تصادم القيم، وفيما يلي ثلاث مجموعات كبرى من مشكلات السلوك التي تنبثق من صراع القيم والمعايير وتؤدي إلى خلق مشكلات اجتماعية، وهى كما يلي:

المجموعة الأولى:

حيث نجد أن بعض السلوكيات تعد بمثابة مشكلة تظهر من خلال شخصيات الأفراد فى ضوء توافق خاصية هؤلاء الأفراد التي تكون فى تعارض وتناقض مع القيم الاجتماعية، وتعد الجريمة بأشكالها المختلفة كالسرقة وحرق الممتلكات والتزوير مثلا لهذا النوع من السلوكيات، ومن ناحية أخرى هناك البعض الآخر من السلوكيات تعد بمثابة مشكلة تحت تأثير أنها تفرض نفسها على هؤلاء الأفراد، وتعد البطالة الدورية التي تحدث نتيجة للقوى غير الشخصية مثلا لهذا النوع الآخر من السلوكيات كما هو الحال فى حالة العامل المهاجر.

المجموعة الثانية:

حيث أن السلوك الذي قد يكون فى حالة تعارض مع القيم الاجتماعية ويؤدي إلى خلق مشكلات اجتماعية، وقد يحدث ذلك بواسطة بعض الأفراد، أو بواسطة الجماعات، والسلوك المزعج عقليا يعد مثلا للنوع الأول، أما الجريمة المنظمة فهى مثلا للنوع الثاني.

المجموعة الثالثة:

أن هناك بعض السلوكيات التي تمثل مشكلة تحدث من خلال تعارض هذه السلوكيات مع احد القيم الاجتماعية الراسخة، وبعد الانتحار مثلا لهذا النوع من السلوكيات، وهناك من ناحية أخرى بعض السلوكيات التي تمثل مشكلة تحدث من خلال التعارض بين قيمتين أو مجموعة من القيم، حيث أننا نجد في المجتمعات بصفة عام الآراء المجحفة والظالمة بين الجماعات والتي تركز على العنصر والجماعة العرقية والطبقة المغلقة، ونجد في نفس الوقت الجماعة المتسامحة التي تمثل قيما للدور الحيادي المطلق حيث المساواة والمنافسة الحرة وهذا يعد مثلا للنوع الآخر من السلوكيات التي تمثل مشكلة اجتماعية.

وهناك العديد من المظاهر أو الملامح التي تساعد في توضيح دور القيم الاجتماعية في خلق المشكلات الاجتماعية في المجتمع يمكن أن نشير إلى بعض هذه المظاهر، مع ضرورة أن نضع في اعتبارنا أن هناك ظروف أخرى يمكن أن تؤدي إلى ظهور مشكلات اجتماعية في المجتمع، ومن أمثلة هذه الظروف أزمة المجاعة، والحرب، والفيضان، حيث يتعرض توازن المجتمع في ظل هذه الظروف وغيرها للاهتزاز بصورة خطيرة.

وسوف أحاول هنا أن أشير إلى بعض المظاهر التي توضح دور القيم الاجتماعية في خلق مشكلات اجتماعية في المجتمع ومنها ما يلي:

أولا: انه طالما أن القيم الاجتماعية تعد بمثابة سببا في خلق المشكلة الاجتماعية؛ فإن ذلك يعني انه بدون القيم لا تكون هناك مشكلة بالفعل، فالتمييز العنصرين يعد مشكلة فقط في حالة المجتمعات التي تضع قيمة كبرى على المساواة الإنسانية بصرف النظر عن اللون والعنصر، والعقيدة، وعلى أساس كرامة الإنسان كإنسان، فعلى سبيل المثال كان أسلوب التمييز ضد المنبوذين في النظام الطبقي الهندوسي في الهند لم يؤدي إلى خلق أية مشكلة في العصور المبكرة، حيث كان يحدث ذلك بصورة متفاعلة صادقة وبشكل

تقليدي، ولم يكن هناك تصادم وانتهاك للقيم وظهر صراع بين القيم التقليدية والقيم الجديدة الأمر الذي أدى إلى ظهور مشكلات اجتماعية.

ثانياً: أن القيم الاجتماعية قد تعيق حل المشكلات الاجتماعية، حيث أن صراع القيم المرتبط بالمشكلات الاجتماعية يتمركز حول ثلاثة مظاهر أو مراحل للمشكلة:

١- أن صراع القيم قد يعتبر بمثابة الوجود الفعلي للمشكلة، التي قد تكون موجودة أو غير موجودة.

٢- قد تكون القيم سببا في عدم الاتفاق على مدخل موحد للمشكلة الاجتماعية، بما يؤدي إلى إعاقة حل المشكلة الاجتماعية الأصلية.

٣- أن الاختلاف في القيم ربما يؤدي إلى عدم الاتفاق على الأساليب التي يجب إتباعها عند حل مشكلة اجتماعية معينة، بل ويؤدي الاختلاف في القيم إلى اختلاف في الأساليب التي يمكن اختيارها لحل هذه المشكلة، فالحل المقترح لعلاج مشكلة اجتماعية معينة قد يكون خرقاً لقيم أخرى، فالقيم الدينية والأخلاقية قد تعتبر في بعض الأحيان بمثابة عائق للحلول المقترحة للانفجار السكاني.

ثالثاً: أنه في فترات التغيير الاجتماعي السريع؛ فإن الناس لا تكون سلوكياتهم متوافقة في أغلب الأحيان مع القيم الاجتماعية، وذلك بالمقارنة بفترات الاستقرار الاجتماعي، ويمكن أن يكون مرجع ذلك إلى ما يلي:

١- أن المعايير التقليدية العاكسة للقيم الاجتماعية قد تكون غير قادرة على مجاراة السلوك الإنساني، حيث أن السلوكيات الإنسانية تسعى إلى إيجاد تعديلات في ضوء المواقف من التباين في معدل التغيير بين السلوك والقيم والاجتماعية التي تحدد السلوك، تصبح القيم القديمة غير مفيدة أو غير مجدية في إرشاد وتوجيه السلوك في المواقف المتغيرة التي يجب أن تكون قد تم مواجهتها.

٢- انه في خلال السنوات المبكرة للتنشئة الاجتماعية في مرحلة لطفولة فإن الفرد

يستمدج مجموعة واحدة من القيم والمفاهيم، ولكن حينما يدخل هذا الفرد مرحلة المراهقة فإنه من المتوقع أن يسعى إلى التكيف مع التصارع الموجود في بعض القيم الأخرى.

٣- انه في أثناء عملية التغير الاجتماعي السريع تتوقف روابط الاتصال بين الناس، بما يؤدي إلى عجز أو نقص في الاتصال بين الناس، وهذا النقص أو العجز في الاتصال قد يمنع تعديل القيم ولمفاهيم لكي تقابل أو تتناسب الموقف المتغير. وعلى أية حال فإنه يمكن القول بصفة عامة أن هناك ارتباط أساسي بين التغير الاجتماعي والمشكلات الاجتماعية ويتجلى ذلك في ضوء عدة أساليب أو طرق نذكر منها ما يلي:

١- أن هناك بعض الحالات التي تم تحديدها في ضوء القيم الاجتماعية القائمة باعتبارها أمور غير مرغوب فيها قد تظهر أن تتبثق، وتعدل، وتختفى أو تتوارى مع التغير.

٢- أن القيم الاجتماعية التي تحدد المشكلات الاجتماعية ربما تغير نفسها خلال مرحلة التغير الاجتماعي.

٣- قد تعتقد بعض المجتمعات انه من خلال العمل أو الفعل المتواصل المخطط التخفيف من حدة المشكلات الاجتماعية بواسطة التحكم أو التأثير على فيضان أو تدفق التغير الاجتماعي، حيث أن عملية تحديد أو تعريف المواقف أو الحالات التي تؤدي إلى خلاب مشكلات اجتماعية تعد بمثابة مشكلة فإن ما كانا نعتبره في فترات تاريخية سابقة بمثابة مخاطر طبيعية أو قضاء وقدر كالمرض، والمعدلات المرتفعة لوفيات المواليد، والفقر، والجهل، وسوء التغذية والحوادث التي يمكن تجنبها، والشخص الخارج عن القانون، إن كل ذلك تم تحديده وتعريفه الآن باعتباره مشكلات اجتماعية، فالتغيرات في الأيديولوجيات والتعليم والعلم الحديث والتكنولوجيا، والتغير

فى القيم فيما يتعلق بكرامة الإنسان وقيمه الحياة الإنسانية أدى إلى إعادة تحديد أو تعريف المواقف أو الحالات التي يمكن اعتبارها مشكلات اجتماعية.

وعلى الرغم من ذلك فإن هناك بعض الجهود المدروسة التي تسعى إلى إعاقة عملية إعادة تعريف أو تحديد المواقف أو الحالات التي يمكن اعتبارها بمثابة مشكلات اجتماعية، وهناك عدة مبررات لوجود مثل هذه الجهود المدروسة ومنها:

١- أن هناك بعض القيم التي يقدرها بعض أعضاء المجتمع بصورة عالية، ولذا فهم يبذلون قصارى جهدهم فى سبيل عدم فقدانها أو انهيارها تحت تأثير عملية التغيير، فمثلا فى المجتمع الذى يقر مبدأ عدم المساواة وترجيح بعض القطاعات على البعض الآخر، يوجد بعض أفراده الذين يؤمنون أو يعتقدون بإخلاص بأن مثل هذه القيم التي تحافظ على بناء هذا المجتمع، هى مصالح لكل أعضاء المجتمع حيث يعتبر الشخص الأدنى منزلة أو مكانة دائما يكون تحت رعاية ولي الأمر أو الأعلى مكانة الذى يلعب دور الأب بالنسبة للسابق، ولذا فإن مثل هؤلاء الأشخاص يسعون للمحافظة على المكانة من خلال الجهود التي تعيق عملية إعادة تعريف أو تحديد الحالات التي يمكن اعتبارها بمثابة مشكلات اجتماعية.

٢- أن الدوافع التي تؤدي إلى إعاقة عملية إعادة التعريف أو التحديد تمثل هذه الحالات قد تكون أنانية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فالأشخاص يهتمون بالمصالح الشخصية للحفاظ على مكانتهم.

٣- أن معارضة أو مقاومة عملية إعادة التعريف للحالات أو الظروف التي تمثل مشكلات اجتماعية قد تكون بسبب جهل هؤلاء المعارضين الذين لم يدركوا أن التغييرات قد تحقق لهم العديد من الامتيازات.

رابعا: إن عملية التحكم والضبط فى القيم المتعلقة بالسلوك الإنسانى قد تنقل تحت

تأثير فعالية مؤثرات متعددة حيث أن ذلك يسهم فى خلق مشكلات اجتماعية هذا من

ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذه المؤثرات قد تقلل من حدة بعض المشكلات الاجتماعية في ظروفهم الاجتماعية الكائنة، ويمكن أن تضرب مثالا يوضح الموقفين؛ فالهجرة من الريف إلى الحضر يمكن اعتبارها أنها تخلق مشكلات اجتماعية من ناحية، وأنها في نفس الوقت تقلل وتخفف من حدة بعض المشكلات الاجتماعية الأخرى.

فالهجرة من الريف إلى الحضر تخلق مشكلات اجتماعية تتمثل في مدى العزلة التي يعيشها الريف المهاجر إلى الحضر، وافتقاده للعائلة بل وبعض الضوابط الأخرى التي كان يألفها من قبل، هذا بالإضافة إلى المعيشة والحياة في ظروف الأحياء المتخلفة بين أناس لهم خلفيات ثقافية متشعبة ومتنوعة، كما أن الهجرة من الريف إلى الحضر قد يكون لها تأثير إيجابي من خلال تخفيف الضغط على مساحة الأرض المنزرعة وفي نفس الوقت تحقيق عائد مادي للأسرة الريفية.

خامسا: أن هناك بعض الأشكال الأخرى من السلوك لا تكون على وفاق مع بعض القيم الاجتماعية، وتعد بمثابة عوامل تؤدي إلى خلق مشكلات اجتماعية، فالحراك الاقتصادي في ظل المشروع الحر للنسق الاقتصادي يؤدي إلى كل من خلق وحل المشكلات الاجتماعية، حيث يحدث مع عمليات التصنيع ارتفاع في المكانات المهنية وحراك المهن، وتزداد المنافع الاقتصادية، ويتضمن هذا الموقف إمكانية وجود البطالة والضياع أو فقدان أو الخسارة الاقتصادية، إذا فشلت الصناعة في العمل بفعالية، أو فشلت في تحقيق الربح، فالبطالة تخلق مشكلات اجتماعية خطيرة في أجزاء مختلفة من العالم، وتؤدي إلى ظهور المشكلات الشخصية المتعلقة بعدم الأمان والإحباط للأفراد، كما أن عدد كبير من الناس يعجزون عن مقابلة احتياجاتهم المادية، وتظهر المشكلات الاجتماعية أيضاً في مثل هذه الظروف لأن الناس في مثل هذه الحالة يكونون غير قادرين على إنجاز أدوارهم الاجتماعية وتوقعات الدور.

فالأب على سبيل المثال قد يعجز عن تأدية دوره في إعالة أعضاء أسرته، ومن

هنا يصبح من الضروري أن يقوم بمثل هذا الدور كل من أطفاله وزوجته، ومن هنا تظهر المشكلات الشخصية الخطيرة الناتجة عن تعديل دور الأب، إن علمية المرونة في تعديل الأدوار قد تسهل الموقف، إلا أن ذلك يكون متيسرا على الإطلاق في بعض الثقافات، حيث يتضمن العار وفقدان الثقة أو الكرامة من ناحية قيادة أو زعامة الرجل للأسرة حيث يصبح غير قادر على تأدية دوره.

فالعجز عن تأدية الأدوار الاجتماعية المتوقعة قد تعد في حالات أخرى أكثر من ظروف الفقر الاقتصادي، وأنه ربما يكون كل ناجم عن حقيقة أن نفس الفرد عليه أن يلعب أو يؤدي أدوارا متناقضة، وأنه بسبب ذلك فهو لا يستطيع أن يفعل كل هذه الأدوار صورة فعالة، وقد توجد في أية ثقافة عدة أيديولوجيات متناقضة أو متصارعة، وأن أية مشكلة اجتماعية توجد عندما يتفاعل الأفراد مع أناس أخرى على أساس الانتماء لأحد الأيديولوجيات، كما أن أيديولوجية المساواة البشرية في المجتمع التقليدي ذو الطبقة المغلقة قد تسبب صراعات تؤدي إلى خلق مشكلات اجتماعية خطيرة، وهناك مظهر آخر للمشكلات الاجتماعية وهو ذلك الذي يتعلق بالسلوك الذي لا يكون منسجما أو متطابقا مع القيم ويمثل عجزا أو قصورا الأفراد معينين كالأبله أو الأحمق والذهاني أو المضطرب عقليا وانه يجب تعليمهم كيف يلعبون أدوارهم لكي تكون متطابقة مع المعايير الاجتماعية.

ويؤكد العرض السابق أن القيم المتصارعة تعد من أهم المداخل السوسولوجية التي يجب عدم تجاهلها عند دراسة المشكلات الاجتماعية، فالقيم الاجتماعية في أي مجتمع هي تلك المعايير والمثل والمعتقدات السائدة فيه، ومن هنا فإننا نجد أن معايير ومثل ومعتقدات المجتمع هي التي تحكم على نوع معين من أنواع السلوك بأنه مشكلة أم لا مشكلة، ويؤيد جورج لندبرج هذا المدخل حيث يعرف المشكلة الاجتماعية بأنها "أي سلوك منحرف يتخذ له اتجاها غير موافق عليه من المجتمع إلى الدرجة التي يتخطى بها

مثل هذا السلوك حدود تسامح المجتمع - ومثل هذا السلوك الذي يتجاوز حدود التسامح يؤدي إلى فعل عام، يهدف إلى حماية المجتمع واصح المخالف أو الجاني وتحذير كل إنسان من أن الانحراف الذي يتعدى نقطي معين لن يتسامح فيه".

فالمجتمع يضع حدود لسلوك الأفراد ولجماعات بحيث لا يسمح لأي فرد أو جماعة أن تتخطى تلك الحدود وتخرج عليها، وبالتالي فإن المجتمع يمكن أن يتسامح تجاه بعض أنواع ودرجات السلوك غير المقبول والتي لا تتخطى تلك الحدود التي وضعها المجتمع كحد فاصل لتسامحه.

ويوضح لنا لندبرج النقطة السابقة بقوله: "أن السلوك الذي يمثل مشكلة اجتماعية لا يصبح كذلك إلا في ضوء علاقته بالقواعد والمعايير التي وضعها المجتمع من حيث مدى التزام هذا النوع من السلوك بتلك المعايير أو مدى خروجه عليها.

فالتزام الفرد في مجتمع ما بمعايير وقيم هذا المجتمع يقابل بمكافأة المجتمع له فيحصل على مركز اجتماعي مرموق مثلاً أو ثروة أو شهرة... الخ.

أما عدم التزامه بتلك القيم والمعايير والقواعد حينئذ يتسامح المجتمع في جزء أو درجة من هذا السلوك بحيث يكون انحراف الفرد هنا ناتج عن التزام أو امتثال أكثر من اللازم لتلك المعايير ويطلق عليه انحراف مقبول من المجتمع.

أما إذا تخطى الفرد حدوده هذا التسامح، أي الحد الفاصل الذي وضعه المجتمع لتسامحه، حينئذ لن يحظى بتسامح المجتمع، وبالتالي يقع على الفرد نقمة ويطلق عليه "انحراف غير مقبول أو غير موافق عليه من المجتمع"، وهو ما يسمى بالمشاكل الاجتماعية أي أن المشاكل الاجتماعية هي سلوك غير موافق عليه في كل نظام من النظم الاجتماعية التي وضعها المجتمع، وحدد لها معاييرها، وقواعدها التي يلتزم بها غالبية الناس.

ويوضح لنا لندبرج أن مدى تسامح المجتمع وتقبله للسلوك يتوقف على نوع

المعايير السائدة في المجتمع والزمن الذي يحدث فيه السلوك المنحرف، وبالتالي فإن المشاكل الاجتماعية والانحرافات السلوكية تختلف من مجتمع لآخر ومن وقت لآخر، فقد يتقبل مجتمع ما أو ثقافة ما شرب الخمر بينما يعاقب مجتمعا آخر مرتكب هذا السلوك عقابا صارما، وكذلك قد يرفض المجتمع سلوكا معيناً في زمن معين ثم يتقبل نفس المجتمع هذا السلوك في زمن مختلف كتقبل المجتمع الإنجليزي لظاهرة الشذوذ الجنسي أخيراً بل ويؤكد ليندبرج أن الاختلاف قد يحدث من موقف لآخر، فعندما يقتل شخصاً آخر فقد يكون هذا السلوك حسب الموقف جريمة أو حالة جنون مؤقت أو قتل خطأ أو حادث أو بطولة، وعلى ذلك يشنق القاتل أو يسجن أو يعالج أو يمنح وساماً.

وحيث أن المجتمعات الحديثة تتميز بالتنوع واللاتجانس الأمر الذي نتوقع معه وجود انساق متعددة من القيم في المجتمع الواحد لدرجة أن الاتفاق والتآلف يصبح أمراً صعباً، ومن هنا تبدو أمامنا صراع القيم الأمر الذي يؤدي إلى خلق مشكلات اجتماعية ويتمثل في الصراع نحو ما هو الشيء المرغوب وما هو الشيء غير المرغوب، كما ينعكس هذا الصراع في القيم على عملية تعلم المعايير فقد يعجز أفراد المجتمع في تقبل المعايير المتفق عليها تحت تأثير تعلمهم لمعايير مختلفة، أو افتقاد المعايير المتفق عليها القدرة على فرض نفسها على الأفراد، فالأحكام القيمية للناس ترتبط - كما سبق أن ذكرنا - بالمشكلات الاجتماعية، حيث أن القيم هي التي تحدد ما هو مشكلة وما هو غير ذلك، فقد تعرف ظاهرة ما بأنها مشكلة، بينما تعرف نفس الظاهرة على أنها وضع طبيعي في مجتمع آخر وذلك طبقاً للقيم السائدة في كل مجتمع، كما أن القيم تساعد على إيجاد المشكلة وتصبح بذلك أحد العوامل المسببة لها، فمثلاً اهتمامنا بالنواحي المالية وحبنا الشديد لاقتناء الأموال والثراء يسعد على خلق جرائم السرقة والسطو على الممتلكات الخاصة أو العامة، وجرائم الاختلاسات والرشاوي ونواب القروض... الخ.

كما أن تقديسنا لنظام الزواج المونوجومي يجبر الأمر غير المتزوجة على أن

تتكسر وترفض ابنها غير الشرعي، هذا بالإضافة إلى أن القيم الاجتماعية لها دور هام في إعاقة وعرقلة حل المشكلات الاجتماعية لأن القيم المتصارعة تؤدي إلى عدم الوصول إلى اتفاق على ما يجب عمله تجاه مشكلة ما فقد يرفض البعض التخلي عن القيم المقدسة حتى ولو كانت تسبب مشكلة اجتماعية بالنسبة لقيم جماعة أخرى.

٦- مدخل التخلف الثقافي: Cultural Lag Approach

ويقصد بالتخلف الثقافي اختلال التوازن في سرعة النمو بين عناصر المجتمع، ومثال ذلك التوسع في التعليم بمعدل أكبر من معدل النمو في الفرص الاقتصادية بما يؤدي إلى خلق بطالة المتعلمين^(١)، وجدير بالذكر أن وليم أوجبرن هو أول تناول هذا المدخل في كتابه التغير الاجتماعي، حيث يقول "أن الأجزاء المختلفة من الثقافة لا تتغير بنفس الدرجة حيث أن بعض الأجزاء تتغير بسرعة أكثر من الأجزاء الأخرى ونظرا للترابط بين الأجزاء المكونة للثقافة، فإن التغير في ناحية منها لا بد وان يحدث نوعا من التكيفات والعلاقات في النواحي الأخرى"، ويضرب أوجبرن مثلا لتوضيح فكرته حيث يقول "الصناعة والتعليم مرتبطان ببعضهما، والتغير في الصناعة يؤدي بالضرورة إلى تكيفات من خلال التغيرات في نظام التعليم، والصناعة هنا متغير مستقل، والتعليم متغير تابع ويتخلف في غلب الأحيان التغير الحادث في المتغير التابع عن التغير في المتغير المستقل، ومن هنا تظهر المشاكل وسوء التوافق وذلك لعدم التساوي بين أجزاء الثقافة في معدلات التغير، وغالبا ما يكون التغير في الجزء المادي من الثقافة أسرع من التغير في الجزء غير المادي ومن هنا فإن المجتمع يتعرض للمشكلات الاجتماعية المختلفة.

ويمكن عرض قضايا هذا الاتجاه كما يلي:

- ١- التمييز بين نوعين من الثقافة (ثقافة مادية - ثقافة لا مادية).
- ٢- أن الأجزاء المختلفة للثقافة لا تتغير بنفس السرعة أو بنفس الدرجة.

١- عبد المنعم شوقي: (١٩٦٧)، مرجع سابق، ص ١١.

٣- أن الجوانب المادية للثقافة تتغير بسرعة اكبر من الجوانب غير المادية أو الأيديولوجية.

٤- أن المشاكل الاجتماعية تنشأ نتيجة التخلف الذي ينتج من محاولة التكيف بين التغيرات المادية وغير المادية وعدم ملاحقة الثانية للأولى.

ويرى هرمان أن المشكلات الاجتماعية تنشأ طبقاً لمفهوم اتجاه التخلف نتيجة

لعاملين:

الأول: حدوث التغيير.

ثانياً: حدوث مقاومة ثقافية للتغيير.

ويوضح ذلك بقوله: "أننا لو وضعنا فكرة التخلف الثقافة والمشكلات الاجتماعية

فى معادلة رياضية فإنها سوق تقرأ كما يلي:

$$\text{Social problems} = \text{change} \times \text{culture Resistance}$$

مع ملاحظة وضع علامة × وليس + هنا، لأنه لو حدث تغيير بدون حدوث مقاومة أو معارضة لهذا التغيير أو لأحد جوانبه لما نشأت مشكلات اجتماعية أصلاً، لأنه فى هذه الحالة سيكون هناك اتفاق وتوافق بين التغيير الذي حدث والنظم الاجتماعية والقيم السائدة فى ذلك المجتمع.

والذين يأخذون بمفهوم التخلف الثقافى هذا كأساس للمشكلات الاجتماعية يربطون بين التغيير والقيم الاجتماعية السائدة، فكما حدث تغيير لا بد أن تتغير أيضاً القيم التي يتمسك بها أفراد المجتمع وإلا نشأت المشكلات الاجتماعية، وكلما كانت تلك القيم قديمة وراسخة، كلما كانت المشاكل متعددة ومعقدة وذلك لصعوبة حدوث التغيير فى تلك القيم بعيدة الجذور، ولا يشترط فى هذه الحالة أن تتغير كل قيم المجتمع وكل نظمه بنفس الدرجة التي حدث بها التغيير، فالنظم والقيم الشديدة الاتصال بالجوانب التي تغيرت هي التي ينبغي أن تتغير بنفس درجة التغيير الذي حدث حتى يتفادى المجتمع عدم التكيف

ويتجنب المشكلات الاجتماعية ولا يعني هذا أن باقى نظم المجتمع لن تتغير، بل لابد أن تتأثر كل نظم المجتمع وكل قيمة بدرجات متفاوتة.

ويقول أوجبرن أن المشكلات الأساسية للمجتمع الحديث تنتج وسوف تنتج بسبب حدوث تغير غير متحكم فيه - ويرى أوجبرن أن السبب الرئيسي فى المشكلات الاجتماعية هو فشل قيم المجتمع فى التوافق مع جوانب التغير حتى تتحقق أهداف المجتمع، وهذا الفشل فى رأيه هو قلب التخلف الثقافى وأساسه، فإذا ما تمسك أفراد مجتمع ما بقيمهم المقدسة بدلاً من محاولة التكيف مع التغير الذى حدث فإنهم سوف يدفعون ثمن ذلك فى شكل مواجهتهم لمشكلات معقدة مستعصية.

٧- مدخل دراسة المجتمع المحلي: The Community Approach

وتتم دراسة المشكلات الاجتماعية فى إطار هذا المدخل من خلال التركيز على إجراء دراسات متعمقة ومركزة لمجتمع محلي معين أو منطقة معينة فى المجتمع خلال فترة أو فترات معينة بحيث يمكن من خلال هذه الدراسة تتبع التغيرات التى تحدث فى شتى مناحي الحياة فى هذا المجتمع المحلي، ونشأة وتطور بعض مشاكله، ومن الدراسات الرائدة فى هذا المدخل؛ تلك الدراسة التى قام بها كل من روبرت لانيد وهيلين لانيد "الميدلتون" وهى إحدى المدن الأمريكية، حيث قاموا بدراستها عام ١٩٧٥ ثم أعادوا دراستها مرة أخرى بعد عشر سنوات من تاريخ الدراسة الأولى.

ومن عيوب هذا المدخل فى دراسة المشكلات الاجتماعية، أن الدراسة المتعمقة لمجتمع محلي معين خلال فترة أو فترات معينة لن يعطينا صورة صادقة عن المشكلات الاجتماعية التى يئن منها المجتمع ككل، حيث أن العوامل التى قد تؤدي أو تؤثر فى المشكلات الاجتماعية ترجع أساساً إلى البناء الاجتماعى للمجتمع ككل، وإلى كافة النظم الاجتماعية والاقتصادية التى تسود هذا المجتمع، وإلى التطور التاريخي الذى مر به هذا

المجتمع حتى وصل إلى وضعه الراهن بجوانبه السوية والمنحرفة^(١).

٨- مدخل المجتمع العصري:

يرى بعض علماء الاجتماع أن المجتمعات الحضرية العصرية الحديثة لها دور بارز في إثارة العديد من المشكلات الاجتماعية وذلك نتيجة للعوامل الآتية:

١- انقلاب المجتمع الإنساني من طابع العلاقات الشخصية المباشرة إلى علاقات غير مباشرة وغير شخصية وما ترتب على ذلك من مشكل الضياع الاجتماعي نتيجة لانفصال الفرد عن الوحدات الاجتماعية التي كانت تحمي نموه وتعطيه الأمن والإحساس بالسلم^(٢).

٢- التعمد التكنولوجي والتغير السريع.

٣- التنوع والتباين والصراع الثقافي.

٤- الحراك الاجتماعي والمنافسة.

وغيرها من العوامل المماثلة التي تناولها كثير من علماء الاجتماع باعتبارها مسببة للمشكلات الاجتماعية، ويؤكد علماء الاجتماع وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية أن التقدم التكنولوجي واتساع نطاق الحياة الحضرية يصاحبه بالضرورة زيادة في عدد المشكل التي يواجهها الإنسان، بل ويعددون أربعة عشر مشكلة باعتبارها قائمة حتمية لعديد من المشكلات التي أسموها بالعصرية؛ وهي كما يلي:

١- الخلل والاضطراب العقلي.

٢- انحراف الأحداث.

٣- السلوك الإجرامي.

٤- تعاطي المخدرات.

١- محمد الغريب عبد الغريب: (١٩٨٠)، مرجع سابق، ص. ١٧٢-١٧٣.

٢- عاطف غيث: (١٩٨٨)، مرجع سابق، ص. ٣٩.

- ٥- إيمان الخمرور.
- ٦- الانتحار.
- ٧- الانحرافات الجنسية والدعارة.
- ٨- التفكك الأسري.
- ٩- مشاكل التصنيع والعمل.
- ١٠- الفقر.
- ١١- الصراع فى المجتمعات المحلية.
- ١٢- مشاكل الحروب.
- ١٣- الأزمات السكانية.
- ١٤- التمييز العنصرى.

الفصل الرابع

أنواع المشكلات الاجتماعية

مقدمة

أولاً: السلوك المنحرف.

ثانياً: المرض العقلي.

ثالثاً: مشكلات التنظيم الاجتماعي.

أنواع المشكلات الاجتماعية*

مقدمة:

عندما نحاول تناول هذا الموضوع نجد أن هناك عديد من الآراء المتباينة والتي عرضها علماء الاجتماع، فهناك مشكلات اجتماعية واسعة النطاق؛ أي تلك المشكلات التي تدخل دائرة الاهتمام المجتمع بأكمله، وهناك مشكلات ضيقة النطاق أي تلك المشكلات التي تخص فئة معينة أو شريحة معينة من المجتمع، وهناك مشكلات تعلق بفئات معينة كالأطفال والشباب والأحداث والمساجين والطلاب والعمال... الخ، وهناك مشكلات تتعلق بمجال العمل أو النشاط كالمجال الأسري والتعليمي والصحي... الخ، وهناك مشكلات اجتماعية مصدرها يكمن في عدم إشباع بعض الاحتياجات كما هو الحال في الدول النامية حيث أن إمكانياتها لا تهيئ لها القدرة على إشباع احتياجات أفرادها، وهناك مشكلات قد يكون مصدرها طبيعياً كالذي يحدثه الفيضان أو البراكين أو الزلازل... الخ، وإن كانت مثل هذه الظروف لا يمكن أن تؤدي إلى مشكلات اجتماعية إلا إذا ولدت هذه المشكلات الطبيعية نوعاً من المواقف الاجتماعية لمواجهة أضرارها والتصدي لها لأنها تشكل خطراً يهدد الوجود الاجتماعي، هنا تبدأ المشكلة الاجتماعية حيث تظهر في تفكير الناس وتأخذ طابعاً اجتماعياً يؤدي إلى التضامن والتكاتف لمواجهة التحدي الطبيعي، وخير مثال على ذلك زلزال الثلاثاء الأسود في تركيا ١٩٩٩، والعدوان الإسرائيلي على أبناء الشعب الفلسطيني عقب مؤتمر القمة العربي المنعقد في بيروت ٢٠٠٢م، ويرى كلير دراك أن هناك خمسة أنواع من المشكلات الاجتماعية هي:

١- المشكلات التي تتضمن الاهتمام المتزايد الذي ينبثق عن الخبرة الجماهيرية، ومثال ذلك مشكلة البطالة التي سادت بريطانيا في ثلاثينيات القرن العشرين.

*قام بإعداد هذا الفصل د. السيد عوض علي.

٢- المشكلات التي تتضمن مجال اهتمام واسع المدى وتتبع من خلال وسائل الاتصال الجمعي مثل انحراف الأحداث.

٣- المشكلات التي تتضمن اهتمام جماعات اقتصادية خاصة يهدفها المجتمع الكبير، وهنا يمكن النظر إلى التنظيمات الآلية التي تتناقض مع نظام الحوافز على أنها مشكلات اجتماعية.

٤- المشكلات التي تتضمن اهتمام جماعات صغيرة ذات أهداف إنسانية.

٥- المشكلات التي تتضمن أنشطة جماعات الصفوة المختارة والمديرين الذين تصل إليهم المعلومات عن طريق أوضاعهم الاستراتيجية في البناء الاجتماعي، ومن ثم يستطيعون صياغة المشكلة الاجتماعية.

كما يعرض العادلي تصنيفاً آخر للمشكلات الاجتماعية على النحو التالي:

١- مشكلات أساسية: وهي تلك التي تتعلق بعدم كفاية الخدمات المتوفرة للمجتمع في إشباع الحاجات الأساسية بالنسبة لأفراد المجتمع بشكل متكامل مثل نقص المدارس أو المستشفيات عن الحاجات الفعلية للمجتمع.

٢- مشكلات تنظيمية: وهي تلك المشكلات التي تتعلق بأن الخدمات متوفرة في مناطق معينة بما يزيد عن حاجاتها، وتقل في مناطق أخرى عن الحاجات، فالمشكلة هنا لا تتعلق بقصور الخدمات أو نقصها بقدر تعلقها بغياب العدالة في التوزيع لهذه الخدمات.

٣- مشكلات مرضية: وهي تلك التي تتعلق بمظاهر الجريمة المتعددة كالسرقة والتشرد والتسول والأحداث والبقاء... الخ.

٤- مشكلات مجتمعية: هي تلك المشكلات التي تتعلق بسوء العلاقات بين الجماعات المختلفة في المجتمع وعدم اهتمام المواطنين بمشكلاتهم وترك أمر هذه المشكلات للظروف.

ويرى روبرت ميرتون - كما سبق أن ذكرنا - أن المشكلات الاجتماعية تنقسم إلى

فئتين عريضتين؛ هما:

١- مشكلات التفكك الاجتماعي:

هؤلاء الآخرين يصبحون كذلك نتيجة لتكرار ارتكابهم لبعض أنواع السلوك الانحرافي، وفي الوقت الذي يقيمون فيه علاقات وثيقة مع غيرهم من المنحرفين في إيمان المخدرات مثلا فانهم يقللون تفاعلاتهم مع غيرهم الذين لا يوافقون على مثل هذا السلوك.

حيث أن الاختلاط مع المنحرفين يمددهم بالدعم وكذلك بمبررات مخالفة القواعد والمعايير، والحماية من القوى التي تحافظ على تلك القواعد والمعايير وهكذا يتوفر لهم الوسط الذي يمكن من خلاله السلوك الانحرافي أن ينمو بدون مراجعة أو نقد^(١).

على أية حال فإن عملية تفسير السلوك المنحرف قديمة قدم المجتمع الإنساني نفسه حيث نجد رجال اللاهوت يرجعون السلوك الخاطيء إلى قوى خارقة للطبيعة تعمل من خلال فرد معين، فالسلوك المنحرف مس من الشيطان أو حلول روح شريرة تستحوذ على الأفراد وتفرض عليهم القيام بالسلوك المنحرف.

ولقد حاول سقراط في معرض حديثه عن الفضيلة والرذيلة التعرض إلى أسباب السلوك المنحرف، وذهب إلى أن الفرد لا يقدم على فعل الشر عن وعي وإدراك كاملين ولكن ذلك يتم نظرا للجهل وانعدام البصيرة، ولو عرف الإنسان الفضيلة لأقدم عليها، فالجهل هو أساس الرذيلة وأساس السلوك المنحرف أما السلوك السوي فمرده إلى العلم.

أما المنظور البيولوجي فإنه يركز على التكوين الفيزيقي للفرد؛ فالسلوك المنحرف ما هو إلا قصور في هذا التكوين، كما عرض سيزار لمبرورو Cesare Lambroero (١٨٣٦-١٩٠٩) عالم الإجرام الإيطالي لذلك، ويرى سميث وسلاب أن السلوك المنحرف

١- علي عبد الرازق جلبي، فصل بعنوان المشكلات الاجتماعية في علي عبد الرازق وآخرون، علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩، ص.ص. ٣٩٣-٣٩٧.

ناتج عن اختلال فى وظائف الغدد الصماء حيث أن هذا الاختلال يؤثر فى نشاط تلك الغدد زيادة أو نقصا فى إفرازاتها.

وعلى أية حال فقد ثبت مدى عمق المنظور البيولوجي وذلك لخلطه بين الوراثة والسلوك المنحرف، هذا بالإضافة إلى أن هذا المنظور اغفل المجال الاجتماعي الذي يعيش فيه الشخص المنحرف الأمر الذي أدى إلى فشله فى رسم صورة للتفاعل القائم بين الشخص المنحرف والمجال الاجتماعي، فالموقف الاجتماعي الذي يتفاعل معه الفرد هو المحدد النهائي للشكل الذى يظهر عليه سلوكه^(١).

أما المنظور النفسي فإنه يرى أن هناك علاقة بين السلوك المنحرف والتكوين النفسي والعقلي للفرد، حيث يرى البعض أن هناك علاقة بين الضعف العقلي والسلوك المنحرف، فالذهان هو السبب فى ظهور كثير من الانحرافات خاصة تلك التي ترتكب ضد الأشخاص، ويعد الفصام أخطر الأمراض العقلية وأشدّها دفعا إلى السلوك المنحرف^(٢)، ويرى البعض أ،ه كلما قل حظ الفرد من الذكاء كان انحرافه اقرب إلى القسوة والتحطيم، فالأغبياء غالبا ما ينزعون إلى السرقة، كما أن الضعف العقلي عند الأنثى غالبا ما يدفعها إلى الدعارة كما يلجأ رؤساء العصابات إلى تسخير ضعاف العقول فى ترويج المخدرات واستخدام الخادمت فى كشف أسرار البيوت تمهيدا لسرقتها^(٣).

ويرى أنصار المنظور النفسي أن الشخص الذي يرتكب سلوكا منحرفا ما هو إلا

١- محمد عارف: الجريمة فى المجتمع، ط٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨١م، ص.ص ١٩٣-١٩٨.

٢- حسن الساعاتي: التحليل الاجتماعي للشخصية، المجلة الجنائية القومية، المجلد الأول، العدد الأول، القاهرة، المعهد القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٥٨، ص ٥٧.

٣- محمد سلامة بارى: مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٥.

شخص قلق نفسياً، إلا أن هذا التفسير لا يوضح شيئاً سوى أن معاناة شخص ما بالاضطراب جعله يرتكب سلوكاً منحرفاً^(١)، ويقول فولد "أنه ليس من الضروري أن يؤدي الاضطراب النفسي بالشخص إلى ارتكاب السلوك المنحرف، فالأشخاص الذين لا يكونون في حالة اضطراب نفسي يرتكبون السلوك المنحرف، فالمنظور النفسي يقلل من أهمية البيئة الاجتماعية في تشكيل سلوك الإنسان وشخصيته، وأن هذا المنظور حين يتناول البيئة الاجتماعية تنحصر اهتماماته في الوسط المباشر الذي تعيش فيه الشخصية المنحرفة، ولا يتسع اهتمامه بالأبعاد الأكثر شمولاً كما تبدو في البناء الاجتماعي ككل^(٢). ومن هذا المنطلق جاء اهتمام المنظور الاجتماعي من خلال التحليل السوسولوجي للسلوك المنحرف أكثر من اهتمامه بالشخصية المنحرفة، ويعد ألبرت كوهن واحداً من الرواد الذين تبناوا هذا المنظور حيث يقول "أنه لبناء علم اجتماع للسلوك المنحرف يجب أن تكون نقطة الرجوع هي السلوك المنحرف وليس أنواع الناس، والمهمة الرئيسية التي نواجهها هي التخلص من الفكرة المسيطرة على التفكير السوسولوجي بن المنحرف هو شخص شاذ أو باثولوجي.

ولقد أكد روبرت ميرتون أن مصدر الانحراف هو البناء الاجتماعي، حيث أن البناء الاجتماعي يولد الانحراف عندما يحدث انفصال بين الأهداف المحددة ثقافياً والوسائل المجازة اجتماعياً (أساليب السلوك) من أجل إنجاز هذه الأهداف، فالأهداف المحددة ثقافياً للنجاح مثلاً هي التي يتم إنجازها بواسطة العمل الشاق والإنجاز التعليمي، غير أن هذه الوسائل ليست متوافرة على أساس متساوي أمام الجميع، وأنها لا تساعدهم على تحقيق النجاح رغم عملهم الشاق وإنجازهم التعليمي وذلك بسبب التمييز العنصري،

١- Reece, Mc. Gee and Others: Sociology, An Introduction, ٢nd, N.Y., Holt, Rinhart and Wiston, ١٩٨٠, P. ١٤٥>

٢- السيد عوض: (٢٠٠١)، مرجع سابق، ص ٧٥.

وقد حدد روبرت ميرتون مظاهر الانحراف الناشئ عن الانفصال بين الأهداف والوسائل وهى التي قد تأخذ احد المظاهر الأربعة المحتملة التالية (التجديد أو الطقوسية، أو الانسحابية، أو التمرد)، وربما كانت القيمة الأساسية فى مقال ميرتون والتي أضافها إلى التحليل السوسولوجي، أنها وجهت الاهتمام إلى العلاقة بين الانحراف والبناء الاجتماعي، وفتحت الطريق أمام أجيال جديدة من البحث فى علم الاجتماع للانطلاق من هذه الملاحظات نحو إعادة تحديد السلوك الانحرافي^(١).

ولقد تبلورت العديد من المنظورات السوسولوجية التي اهتمت بدراسة السلوك

المنحرف نذكر منها ما يلي:

١- **المنظور الايكولوجي** حيث يهتم هذا المنظور بالسلوك المنحرف باعتباره ظاهرة ناشئة عن التغيير الاجتماعي، كما يحاول هذا المنظور تفسير الأبعاد الاجتماعية لمفهوم التفكك الاجتماعي تفسيراً عمرانياً، إذ جعل هذه الأبعاد نتيجة لعمليات متتابعة تمر بها المدينة، حيث يفسر الانحراف والجناح على أساس ارتباط السلوك الجناح بأوضاع معينة (ظروف التفكك الاجتماعي) التي تنشأ نتيجة عمليات نمو المدن، ولا ينظر هذا المنظور إلى عوامل انخفاض مستوى المعيشة والجهل والازدحام والسكن غير الصالح باعتبارها عوامل مفسرة للانحراف، وإنما ينظر إليها باعتبارها أعراضاً لنظام انحلاي أى أن المناطق الإجرامية يرجع ظهورها إلى تدهور خصائص ومقومات الضبط الاجتماعي^(٢).

ومن الدراسات الرائدة فى هذا المنظور؛ دراسات كليفورشو وهنرى

مكاى Clifford R. Show and Henry D. Mokey، ويمكن أن نشير إلى أهم نتائج

الدراسات التي أجريت على مناطق الجناح Delinquency Area فيما يلي:

١- على عبد الرازق: (١٩٩٩)، مرجع سابق، ص.٣٩٥-٣٩٦.

٢- محمد عارف: (١٩٨١)، مرجع سابق، ص.٤٣٧.

- ١- هناك ارتباط قوي بين مناطق الجناح من ناحية وإجرام الأحداث من ناحية أخرى.
- ٢- أن ظهور مناطق الجناح ناتج عن الرابطة المحكمة بين هذه المناطق ووجود عدة خصائص معينة كال فقر والحراك السكاني وجرائم المراهقين والتفكك العائلي^(١).
- ٣- تختلف معدلات الجناح من منطقة إلى أخرى وأن المناطق ذات معدلات الجناح العالية ستكون كذلك لمدة طويلة^(٢).
- ٤- أن معدلات الجناح في المدن الأمريكية تميل إلى أن تكون مرتفعة بالقرب من منطقة الأعمال المركزية التي تكون بها صناعات كثيرة، وتقل وتنخفض كلما بعدنا عن المركز فحركة الجريمة يكثر حجمها في وسط المدينة حيث التفكك الأسري وكثافة السكان العالية والجيرة المتغيرة الناتجة عن الهجرة منها واليهيها^(٣).
- ٥- وعن اثر الأسرة المفككة على الجناح ومن خلال مقارنة جماعة المنحرفين بجماعة من غير المنحرفين؛ وجد أن ٤٣% من المنحرفين يأتون من اسر مفككة وأن ٣٦% من غير المنحرفين يأتون من اسر مفككة^(٤).
- ٦- وعن اثر الصحة السيئة تبين لشو مكاي أن من بين ٥٤٨ حدثاً جانحاً ارتكب ٨١,٨% منهم جريمة بالاشتراك مع آخر أو آخرين^(٥).

١- Haynes, E. Fred: Criminology, ٢nd ed., U.S.A, McGraw, Hill Book Co. Inc., ١٩٣٥, pp. ٤٤-٤٥.

٢- Caldwell, G. Robert: Criminology, ٢nd ed., N.Y., The Ronald Press Co., ١٩٨٥, pp. ٢٤٩-٢٥٠.

٣- Lewis, John and Other: Criminology, ٤th ed., Bombay, The Time of India Press, ١٩٦٩, pp. ٤٢٠-٤٢١.

٤- اوسبون: الماركسية والتحليل النفسي، ترجمة سعاد الشرقاوي، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م، ص ١٥٩.

٥- احمد محمد خليفة: مقدمة في السلوك الإجرامي، الجزء الأول، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٢م، ص ١٤٢.

٧- أن إجرام العصابات له جذوره في الحياة الاجتماعية الحديثة فسلوك البالغين في المدن الكبرى من شأنه تغذية إجرام الأحداث الذين يختلطون بهم، فالقيم المتصارعة في الحياة الحديثة تصيب الطفل الناشئ بالتخبط وتشجعه على البحث عن حياة مثيرة يستطيع أن يحقق فيها مركزاً يرضيه في مواجهة أقرانه^(١).

فمنطقة الجناح من نظر شو تظهر من خلال عملية التحضر ونمو المدن وهي تتميز بأن معدلات الانحراف عالية جداً، وأن مبانيها متهاكّة، وأحوالها الاقتصادية سيئة للغاية، والتضخم السكاني، وارتفاع معدلات الحركة السكانية، وانتشار ظاهرة الهروب والتغيب عن المدارس، وارتفاع نسبة وفيات الأطفال، وتفشي المرض العقلي، والصراعات الثقافية، وقلة الاهتمام بحل المشكلات العامة، وتدهور خصائص ومقومات الضبط الاجتماعي، وهي باختصار مناطق تتسم بالتفكك الاجتماعي^(٢).

وهناك دراسات كثيرة وصلت إلى نتائج مماثلة منها دراسة تراشر Thrasher عام ١٩٢٧ عن العصابة The Gang، حيث تناول حياة العصابة في شيكاغو والتي يعتبرها تراشر نتيجة طبيعية للتغير الاجتماعية الناتج عن التطور الاقتصادي السريع، وقدم أعداد كبيرة من الأجانب^(٣)، فالأحداث ينحرفون من خلال مشاركتهم في العصابات، فهم يتعلمون الانحراف من خلال مخالطتهم للآخرين الذين هم جانحين بالفعل، وتتم تنشئتهم على المعايير المنحرفة في ظروف اجتماعية تعد فيها هذه المعايير السائدة، كما في العصابات التي تسكن مناطق الطبقة الدنيا في المدن الكبرى^(٤).

٢- منظرو الثقافة الفرعية الانجرافية **Deviant Subculture**: ويهدف هذا المنظور

١- احمد عوض: علم الإجرام، ط١، القاهرة، دار الثقافة العربية، ١٩٨٥م، ص١١٦.

٢- R. G. Caldwell: (١٩٦٥)، Op. Cit., pp. ٢٤٩-٢٥٠.

٣- Fred, E., Haynes: (١٩٣٥)، Op. Cit., pp. ٤٦٩.

٤- علي عبد الرازق: (١٠٠٠)، مرجع سابق، ص٣٩٨.

إلى وصف كيفية ظهور الجماعات الانحرافية في المجتمع، ونقطة البدء في هذا المنظور حقيقة مؤداها "أن معايير وقيم الطبقة الوسطى تميل إلى السيطرة والسيادة في المجتمع، وتصبح تلك المعايير بمثابة مقاييس للأخلاق والفضيلة والعمل والمكانات الاقتصادية، حيث انه ليست هناك فرصا متساوية لكل الجماعات في الوصول إلى تحقيق أهداف الطبقة الوسطى التي تتعلق بالإنجاز والنجاح من خلال الوسائل الاجتماعية الشرعية، ومن هنا تبدأ الطبقات الدنيا والجماعات المنحلة في تنمية معايير وقيم مضادة لقيم الطبقة الوسطى نظرا لانعدام الفرص المتاحة أمامهم، وتعرف هذه الجماعات بأنه الجماعات إجرامية، وعندما تنتشر بصورة مباشرة في كل أنحاء المجتمع، فإنهم يكونون ثقافات فرعية منحرفة، ويميل أعضاء هذه الجماعات الذين ينتمون إلى تلك الثقافات الفرعية إلى عمل وضيع، هذا فضلا عن شعورهم بالهزيمة والرفض من قبل الطبقة الوسطى ومستوياتها، فهم يلجئون إلى استخدام الوسائل غير الشرعية لتحقيق الأهداف التي تتمثل في الممتلكات المالية والرفاهية والسعادة، حيث أن فرص تحقيق تلك الأهداف بالوسائل الشرعية تكاد تكون منعدمة، فالجريمة والانحراف هما أسلوب حياة تلك الجماعات كما أنهما وسائل مصدر الرزق والوجود^(١).

ويعتبر كل من البرتكوهن A. K. Cohen في كتابه الأولاد الجانحين، وولتر ميلر W. Miller في نظريته الاهتمام البؤري Focal Concern، وكل من كلوارد وأوهلن Cloward and Ohlin في كتابهم الفرصة والجنح Delinquency and Opportunity بمثابة رواد لهذا المنظور وهناك شرح واف لنظريتهما في كتاب منشور لكاتب هذه السطور بعنوان الجريمة في مجتمع متغير.

١- R. L. Horton and other: Social Problems, U.S.A., Learning system Co., ١٩٧٥, p. ١١

٣- ولقد عرض سذرلاند فى نظريته المخالفة الفارقة تفسيراً لكيفية أن بعض الناس يصبحون منحرفين فى الوقت الذى لا يكون فيه الآخرون كذلك على الرغم من اشتراكهم فى عدة خصائص اجتماعية كوضع الطبقة الاجتماعية، حيث يقول "أن الفرد يتعلم السلوك الانحرافى من خلال عملية الاتصال، فإذا كانت ارتباطاتنا المنعزلة انحرافية هنا يكون الاحتمال قويا بأننا سوف نتعلم القيم والأساليب الانحرافية التى تجعل الأفعال الإجرامية ممكنة ومحتملة^(١).

ويحدد سذرلاند نظريته فى تسع قضايا أساسية هى كما يلي^(٢):

أولاً: يكتسب السلوك الانحرافى عن طريق التعليم وليس عن طريق الوراثة حيث انه يتطلب قدراً معيناً من المهارة لارتكابه بنجاح.

ثانياً: أن السلوك الانحرافى يتم تعلمه من خلال الاتصال بالآخرين ويحدث هذا الاتصال عادة فى صورة شفوية وقد يحدث من خلال الإشارة.

ثالثاً: أن عملية تعلم السلوك الانحرافى تتم على وجه الخصوص فى محيط المجموعات المتألفة للأفراد من العلاقات الشخصية، أما وسائل الاتصال التى لا تقوم على رابطة مباشرة مع الأشخاص وتعرف بالوسائل غير المباشرة فإنها تلعب دوراً ثانوياً فى الدفع إلى الانحراف.

رابعاً: تتضمن عملية السلوك الانحرافى الوسائل الفنية لارتكاب الجريمة بالإضافة إلى الدوافع والبواعث والاتجاهات المؤيدة.

خامساً: تكتسب الدوافع والبواعث من تعريفات القواعد القانونية باعتبارها ملائمة أو غير

١- E. D. Stanily: Social Problems; ٣rd ed., U.S.A., Allyn and Bacon Inc., ١٩٩٨, p٣١٨.

٢- SergDenisof and other: An Introduction to Sociology, ٣rd ed., N.Y, MacMillan Publishing Co. Inc., pp. ٤٣٢-٤٣٤.

ملائمة، فإذا تقبل الشخص القانون ضد السرقة فإنه عموماً لن يلجأ إلى السرقة. سادساً: يصبح الشخص جانحاً بسبب توصله إلى مجموعة تحديدات أو تعريفات تجعله يحبذ ويفضل مخالفة القانون، وذلك بشكل يفوق التحديدات والتعريفات التي تجعله يحب اذ ويفضل الامتثال للقانون، حيث أن التفاوت بين المكافأة والتكلفة تكفي لتحبيذ السلوك الانحرافي، فالشخص المنحرف متأكد من أن العائد من المكافأة يفوق التكلفة الناتجة عن ارتكاب السلوك المنحرف، وإلا فإنه يقدم على الانحراف إطلاقاً.

سابعاً: انه يمكن للمخالطة الفارقة أن تتفاوت من حيث التكرار والاستمرارية والكثافة، فكلما زاد الاحتكاك مع منحرفي الجريمة كلما زاد الاحتمال القوي للتعليم وتفضيل ارتكاب الفعل الإجرامي.

ثامناً: تتضمن علمية تعلم السلوك الإجرامي كل الأساليب الفنية التي يحتويها تعلم أى نشاط آخر.

تاسعاً: يعد السلوك الإجرامي تعبيراً عن نفس الحاجات والقيم العامة التي يحتويها السلوك غير الإجرامي، ولذا فإنه لا يمكن تفسير السلوك الإجرامي من خلال الحاجات والقيم العامة، فالشخص قد يسرق لكي يحصل على نقود لشراء بدلة جديدة، بينما يقوم شخص آخر بالعمل فى النجارة لكي يحقق نفس الهدف، وكنتيجة لذلك فإن القيم والحاجات المجتمعية المرتبطة بالجريمة تفشل فى توضيحها.

ولقد أكد سذرلاند نظريته فى كتابه "اللص المحترف The Professional Thief" حيث أشار إلى دور الجماعات الإجرامية التي ينتمي إليها الفرد فى استمراره فى اتخاذ الجريمة أسلوباً لحياته، فاللص المحترف يكتسب أساليبه الفنية فى السرقة وينميها عن طريق التعليم الذى يتم بمخالطته للصوص المحترفين، وفى الوقت الذى يكاد يكون فيه اللص المحترف معزولاً تماماً عن المجتمع فإنه يكون جزءاً من عالم الجريمة، هذا

العالم الذي يعضد بنسقه القيمي ولشعوره الجمعي المجرم في حياته الإجرامية، ورغم أن اللص لا يكون معزولا تماما عن المجتمع إلا أن مخالطته للجماعات الأخرى لها حدودها التي يحافظ عليها اللصوص المحترفون أنفسهم حفاظا لأنهم وسلامتهم.

وتبدو أهمية الدور الذي تلعبه الجماعة الإجرامية أيضا في أن الشخص الذي تقبله الجماعة وتعترف به كص محترف يصبح كذلك، بينما الشخص الذي لا تعترف به الجماعة كص لا يعتبر كذلك بغض النظر عن أساليب كسب معاشه، فالجماعة إذن هي التي تحدد أعضائها^(١).

٤- ويمكن لنا هنا أن نشير لى منظور رد الفعل المجتمعي تجاه الانحراف هذا المنظور يختلف عن المنظورات الأخرى حيث انه لا يسعى للإجابة على التقليدي للمنظورات الأخرى والذي مؤداه: لماذا يصبح بعض الأفراد منحرفي دون البعض الآخر؟ فالموضوع الذي يبحثه هذا المنظور جديد ومغاير حيث يسعى للإجابة عن التساؤل التالي؛ لماذا يخلع المجتمع على بعض الأفراد دون البعض الآخر وصف المنحرفين؟

فهذا المنظور يستند على قضية مؤداه أن العامل الأساسي الذي يؤدي إلى الانحراف هو رد الفعل المجتمعي تجاه الانحراف، وهي لا شك قضية مغايرة تماما لما تم عرضه عن الانحراف، والتي تتلخص فى أن الجهد الذي يبذله المجتمع يعد بمثابة نتيجة أكثر من كونه سببا فى السلوك الانحرافي، فرواد هذا المنظور يعتقدون وجهة النظر العكسية، حيث يسعون إلى توضيح كيف أن المجتمع يخلق الانحراف من خلال ردود الأفعال لأي شخص يكتشف انه كسر القانون أو ارتكب الفعل الانحرافي بطريقة أخرى، فسارقوا المعروضات الذين لم يضبطوا أو يعاقبوا قد يقعون عن هذا السلوك بدون ادنى

١- ناهد حسين صالح: العودة إلى الإجرام، قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٥م، ص.ص ٦٤-٦٥.

تفكير في أنفسهم كمنحرفين، ولكن إذا قبض عليهم وعوقبوا فهكذا يطلق عليهم وصف مجرمين، ومن هنا قد يفكرون في أنفسهم كمنحرفين^(١).

ولقد عرض ادوين ليمرت Edwin Lemert في كتابه الباثولوجيا الاجتماعية Social Pathology ١٩٥١ تفرقة بين الانحراف الأولي Primary Deviation والانحراف الثانوي Secondary deviation، فالانحراف الأولي هو ذلك الفعل الانحرافي المنعزل والمؤقت والذي يتورط فيه كل إنسان، أما الانحراف الثانوي فهو عبارة عن سلوك انحرافي يصبح بمثابة وسائل دفاعية وهجومية أو يعبر عن صورة من صور التوافق إزاء مشكلات اجتماعية واضحة أو مستترة خلقها رد الفعل المجتمعي تجاه الانحراف الأولي، وفي ضوء ذلك يكون المنحرف الثانوي هو الشخص الذي يحيا ويتطابق ومنظم حول حقائق الانحراف، وهذا ما نطلق عليه المجرم المحترف أو المنحرف المحترف^(٢).

فالانحراف الأولي هو كسر للقوانين وانتهاك للمعايير، وفيها لا يفكر الجانحون في أنفسهم كمنحرفين، ولكنهم يبررون سلوكهم لكي يحصلوا على دور مقبول اجتماعيا، ولكن إذا أصبح هذا السلوك معروفا لدى الآخرين؛ فإن الشخص الذي يرتكب هذا السلوك يسمى منحرفا، ومن المحتمل هنا أن تتغير المفاهيم الذاتية للجانحين، ومن هنا يظهر الانحراف الثانوي الذي يتضح من خلاله دور المجتمع في خلق المنحرفين من خلال تسمية الناس على أساس فردي واكتشاف الأفعال المنحرفة في لانحراف الأولي^(٣).

ويقول هوارد بيكر H. S. Becher "أننا يمكن أن نحدد الانحراف كمخالفة أو

١- Kenkel, F., William: Society in Action, Introduction to Sociology, ٢nded, N.Y., Narber& Row, ١٩٨٠, p. ٥٣٦.

٢- Shepard, M. Jon and Other: Social Problem, U.S.A, McMillan Publishing Co. Inc., ١٩٧٨, pp. ٣٨٩-٣٩٠.

٣- Kenkel, F. William: (١٩٨٠), Op. Cit., pp.: ٥٤٧-٥٤٨.

خرق لقاعدة ما متفق عليها، ومن ثم يمكن أن نتساءل من هؤلاء الذين يكسرون القواعد ويعتبر لبحث عن العوامل في مواقفهم الحياتية وشخصياتهم بمثابة تبرير لتلك الانتهاكات والمخالفات، وهذا الافتراض يبدو وكأنه يتجاهل الحقيقة الأساسية عن الانحراف، التي مؤداها أن الانحراف يخلق بواسطة المجتمع، فالجماعات الاجتماعية من وجهة نظر بيكر هي التي تخلق الانحراف من خلال صنع القواعد التي يمثل خرقها وانتهاكها انحرافا، وعند تطبيق هذه القواعد على من ينتهكونها يصبح من الممكن إطلاق مصطلح خارجين عليهم Outsiders فالمنحرف هو ذلك الشخص الذي طبقت عليه هذه التسمية بنجاح^(١)، والفعل يكون منحرفا فقط من خلال رد فعل الآخرين نحوه، فالانحراف ما هو إلا نتيجة لعملية تشمل استجابات الناس الآخرين نحو السلوك، ويمكن أن يكون السلوك انتهاكا للقواعد في وقت معين ولا يكون كذلك في وقت آخر.

كما أن السلوك يرتكبه شخص معين قد يكون انتهاكا للمعايير، ولا يكون كذلك إذا ارتكبه شخص آخر، فالانحراف بصفة عامة ليس خاصية لازمة للسلوك، وإنما يكمن في العلاقة بين ما هو الشخص الذي يرتكب الفعل الانحرافي، ومن هؤلاء الذين يستجيبون نحو الفعل ويسمونه كذلك^(٢).

ويؤكد ذلك كابرريكسون Kai Erikson حيث يعرف الانحراف بأنه ليس خاصية متأصلة في السلوك ولكنه خاصية تلتصق على السلوك بواسطة بعض الناس للبعض الآخر، فدراسة السلوك المنحرف تنصب على المحيطين بالجاني وليس على الجاني

١- Becker, S. Howard: deviance and the Response of Other, In Henshel, L., Richard and Silverman, A. Robert (eds): Perception in Criminology, U.S.A, Columbia University Press, ١٩٧٥, p. ٣٩٢.

٢- Ibid, pp: ٣٩٣-٣٩٥.

نفسه^(١).

ويوضح اريكسون هذه الفكرة حيث يقول "إن هناك من الناس من يفرطون في تناول المواد الكحولية، يطلق علي بعضهم وصف مدمنين، ولا يطلق على البعض الآخر هذا الوصف، كما أن هناك من الناس من يتصرفون بطريقة شاذة يودع بعضهم في المستشفيات ولا يعرفون بهذا الوصف، كما أن هناك من الناس الذين ليست لديهم موارد مالية ظاهرة للإنفاق، بعضهم يتهم بالتشرد ويطلق عليهم وصف متشردين، بينما البعض الآخر لا يطلق عليهم ذلك، فالأساس الذي يعتمد عليه المجتمع في التفرقة بين من يطلق عليهم لقب منحرفين في المجتمع وبين هؤلاء الذين يواصلون حياتهم في سلام هو الطريقة التي من خلالها يقوم المجتمع بتتقية الصور المتعددة للسلوك التي تصل إلى علمه^(٢).

وتقول سامية محمد جابر أن هذا المنظور قدم إسهامات هامة إلى نظرية علم الاجتماع بصفة عامة ونظرية السلوك المنحرف بصفة خاصة ويبدو ذلك واضحا فيما يلي:

- ١- أشار هذا المنظور إلى ضرورة الاهتمام بالطرف الآخر في عملية التفاعل بين المنحرفين وغير المنحرفين مما أدى إلى انبثاق دراسات أجريت على فئات اجتماعية وجماعات متخصص في اتخاذ القرار وصنع القواعد والإشراف على تنفيذها.
- ٢- كان لهذا المنظور الفضل الأول في الإشارة إلى ربط الانحراف بالسياسة ودور العملية السياسية في التجريم.
- ٣- اشتملت الأفكار التي انطوى عليها هذا المنظور على إشارات ضمنية إلى مسألة

١- Erikson, Kay: The tyranny of label, in enshel, L. Richard and Silverman, A. Robert (eds): Perception in Criminology, U.S.A, Columbia University Press, ١٩٧٥, p. ٣٩٨.

٢- Ibid., pp. ٣٩٩.

التغير الاجتماعي، وخاصة عندما أشارت إلى أن الحكم على الانحراف لا ينطلق من طبيعة الفعل ذاته، وإنما يتحدد بواسطة مجموعة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتغيرة، ولذلك فهو معرض للتعديل أيضاً^(١).

ثانياً: المرض العقلي:

يعد المرض العقلي واحداً من أكثر المشكلات الاجتماعية انتشاراً في المجتمع الأمريكي، ومن أكثرها أيضاً تكلفة، حيث تتحمل ميزانية الدولة أعباء ضخمة للإنفاق على المستشفيات العقلية والعيادات، هذا بالإضافة إلى صعوبة العلاج والجهد المضني والطويل في التعامل مع المرض العقلي، وما يتطلبه من جهد آخر يكسب ثقة الجمهور وقبولهم للمرض العقلي باعتباره مرضاً وأن يعالج على هذا الأساس^(٢).

وعلى الرغم من وجود المرض العقلي بصورة مختلفة من قديم الزمان، إلا أنه لم تجر محاولات لدراسته وفهمه إلا منذ وقت قريب نسبياً، فطبيعة المرض المعقدة، وعدم اهتمام مهنة الطب به جعلت دراسته صعبة والتقدم فيها بطيئاً، ومع ذلك ما هو موجود الآن من فكر عن المرض العقلي يمتد بجذوره إلى الحضارة المصرية والبابلية والصينية والهندية.

فمنذ حوالي ٣٠٠٠ ق.م كن الاعتقاد السائد بأن الأمراض العقلية ترجع إلى قوى خارجية وأن سببها مس من الجن وتأثير الأرواح الشريرة، وانبثق عن هذا الاعتقاد محاولات علاجية بدائية باستخدام السحر والدين، ففي مصر القديمة ٤٠٠٠ ق.م عالج أمنحيب المجانين على اعتبار أنهم "مرضى عقليين" بهدف عودة السلام إلى حياتهم، ومنذ حوالي ١٥٠٠ ق.م وصف القدماء المصريين المرض العقلي وسجلوا ذلك على أوراق البردي وكتبوا ملاحظاتهم عن تغيرات مرحلة الشيخوخة تتضمن الاكتئاب وضعف

١- سامية محمد جابر: (١٩٨٤)، مرجع سابق، ص ٤٠٤.

٢- على عبد الرازق: (١٩٩٩)، مرجع سابق، ص ٣٩٩.

الذاكرة.

وقد تم التعرف على العديد من الممارسات الطبية فى مصر القديمة لعلاج المرض العقلي منها بردية كاهون ١٩٠٠ ق.م حيث وضحت هذه البردية الهستريا كأحد مظاهر المرض العقلي، وكان معبد النوم أحد الأساليب العلاجية وكان أمنحتب الذي يعد أول طبيب معروف فى التاريخ يقوم بعلاج هذا المرض باستخدام عدة أساليب منها العلاج بالأعشاب وأحياناً نبات الأفيون^(١).

وبعد عدة قرون فى زمن الحضارة اليونانية الرومانية نجد عديد من المساهمات فى تناول المرض العقلي حيث يعد أفلاطون وكتابه الجمهورية أول مرجع فى معاملة المريض العقلي، حيث أكد ضرورة حسن المعاملة والرعاية المنزلية كما ناقش أرسطو العقل والكائن البشري.

وفى سنة ٤٩٠ بعد الميلاد كان إنشاء أول مستشفى للأمراض العقلية فى أورشليم^(٢)، ويذكر عكاشة أن أول مستشفى عقلي فى العالم شيد فى بغداد عام ٧٠٥ بعد الميلاد^(٣).

أما عن المرض العقلي فى العصور الوسطى فقد عد الفكر الخرافي وانتشر الدجل والشعوذة، ولذا أطلق علي هذه العصور اسم العصور المظلمة، وكان رجال الدين يقومون بمحاولات علاجية تحت اسم العلاج الأخلاقي أو الديني، وتم إنشاء أماكن لحجز المصابين بالمرض وكانت غالبيتها غير مستوفية الشروط الصحية، وكان أسلوب التعامل مع المرض غاية فى السوء حيث التقييد بالأغلال وقد تم بناء أول ملجأ للمجانين سنة ١٤٠٣ فى إنجلترا، وكان يتم عزل المرضى العقليين فى أماكن بعيدة عن المستشفيات

١- أحمد عكاشة: الطب النفسى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٨، ص.ص ٢١:١١.

٢- حامد زهران: الصحة النفسية، ط٣، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٧، ص٩٦.

٣- أحمد عكاشة: (١٩٩٨)، مرجع سابق ص٣٩.

المعتادة^(١).

أما عن المرض العقلي في العصر الحديث فلقد تعدلت النظرة إليه في عصر النهضة العلمية فمنذ قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ بدأ النظر إلى المرض العقلي باعتباره كأي مرض جسمي آخر، وبدأ الاهتمام بالنظرة الإنسانية إلى المرضى العقليين، حيث أقيمت المستشفيات وتحسنت بيئتها من حيث الرعاية والعلاج ورفعت عنهم السلاسل وأتيحت لهم فرص التنزه والترفيه والعمل والمعاملة الحسنة.

وفي مصر أنشأ كلوت بك سنة ١٨٨٠م مستشفى للأمراض العقلية في الأزكية بالقاهرة وكانت تابعة للجيش، وقد نقلت إلى العباسية، وتم تجديدها وتطويرها وتعرف الآن باسم "دار الاستشفاء للصحة النفسية"^(٢).

ويرى علماء الاجتماع أن المستشفيات العقلية في الماضي كانت تلعب دورا تحفظيا Custody لا علاجيا Therapy حيث كان يتم حجز الأشخاص المضطربين عقليا بعيدا عن المجتمع وفي ظروف أمن مشددة مثل السجون حيث يخضعون لنظام من الضوابط يساعد على استمرار السيطرة عليهم وإجبارهم على الامتثال لظروف مغايرة للحياة اليومية.

ولقد تمكن عدد من الباحثين في علم الاجتماع خلال الخمسينات من القرن العشرين الكشف عن بناء المستشفيات العقلية، وتوضيح كيف أن التنظيم الاجتماعي لهذه المستشفيات يؤثر في المرض وبخاصة في فرص شفائهم، ومن هنا تأكدت الحاجة إلى ضرورة وجود بديل مختلف تماما عن هذه المستشفيات إذا كان من الضروري توفير العلاج الأصيل، ومن أهم الاقتراحات التي تعد بمثابة بدائل للمستشفيات العقلية ما يلي:

١- إقامة برامج خارجية للمرضى.

١- المرجع السابق، ص ٢٢.

٢- حامد زهران: (١٩٩٧)، مرجع سابق، ص.ص ٩٧-١٠٣.

٢- الإقامة في المنزل نصف الوقت بالنسبة للمرضى الذين لا يستطيعون التكيف مع المجتمع.

٣- إنشاء عيادات المجتمع المحلي للصحة العقلية للكشف المبكر عن المرض وعلاج من يعانون من المشكلات.

ولقد أكد الطبيب النفسي توماس ساز أنه ليس هناك وجود لشيء يطلق عليه مرض عقلي Mental Illness فالمرض العقلي ما هو إلا أسطورة The Myth وما ننظر إليه على أنه مرض عقلي ما هو إلا مشكلة في المعيشة، فالمرض العقلي من وجهة نظر ساز ما هو إلا صفة تلتصق على أنواع معينة من السلوك الانحرافي، حيث ينظر إلى هذا السلوك باعتباره قرينة المرض العقلي، ويستشهد بالمرض العقلي باعتباره سببا لهذا السلوك، وربما ينطوي ذلك على مغالطة منطقية، ولذا فإن ساز يرفض مفهوم المرض المشتق من الطب حيث أن عجز الكائن العضوي عن أداء وظائفه يتجلى في مظاهر متباينة يمكن التعامل معها من خلال العلاج الطبي، إلا أن المشكلات العقلية يمكن قياسها بواسطة رجوع الطبيب النفسي للمعايير التي يتوقعها الإنسان من الأشخاص العاديين، وهذه المعايير ليست معايير طبية، وإنما هي معايير اجتماعية ونفسية وأخلاقية بل وقانونية، حيث يمكن الحكم على العدوانية Hostility المزمنة ووصفه بالمرض العقلي حيث أنها تقوم على انتهاك المعايير الأخلاقية، ومن هنا يقترب تعريف المرض العقلي من تعريف بيكر للانحراف، حيث يرى ساز أن المرض العقلي يوجد عندما ينحرف الناس بطريقة مثيرة في تفاعلاتهم مع الآخرين، وأن وصف الشخص بأنه مريض عقلي هو لقب يضيفه الآخرون عليه، وكما هو الشأن فيما يتعلق بحالات الانحراف الأخرى، فإن الأشخاص الذي يلقبون بهذا اللقب يتصرفون كما لو أنهم مرضى عقليين.

وهكذا فإن مشكلة المرض العقلي تعد جزئياً مشكلة أولئك الذين حددها على هذا

الأساس، فهي أيضاً مشكلة تعريف، فالمجتمع هو الذي يحدد ما هو السلوك السوي وما

هو السلوك المنحرف، وسواء أكانت هناك مشكلة اجتماعية أم لا، ومهما كان نوع المشكلة الاجتماعية فإن ذلك يعتمد على تعريف السلوك الشائع الاستخدام.

ويرى احمد عكاشة أن ما يقوله ساز بالاشتراك مع لانج يطلق عليه النظرية المضادة للطب النفسي، ذلك لأنها ترى انه لا يمكن تفسير الفصام فى إطار طبي، وأن الحل الأمثل شموله تحت الإطار الاجتماعي والإنساني، فالصمام نعت أو لقب يتداوله ويسقطه البعض على الآخر تحت ظروف اجتماعية معينة وهو ليس مرضا بالمعنى الطبي مثل الالتهاب الرئوي ولكنه نوع من الاغتراب يختلف عن الشعور الاغترابي المتداول، فالصمام حقيقة اجتماعية وسياسية، وهو احد أنواع الاغتراب الذي يرتكبه الإنسان فى حق أخيه الإنسان بطريقة وحشية وعنيفة، فنحن ندفع أولادنا نحو الجنون ولا نتحمل التركيبات الأساسية للخبرات الذاتية وعلينا دراسة النظام الاجتماعي وليس الأفراد للوصول إلى تفسير سببية الفصام^(١).

ثالثا: مشكلات التنظيم الاجتماعي : Problems of Social Organization

لقد استمرت مشكلات التنظيم الاجتماعية تطرح نفسها كقضايا ملزمة تتطلب مزيد من الاهتمام بها وذلك على الرغم من أن هناك اهتمام طاغي بمشكلات السلوك المنحرف فى السنوات الحديثة.

ومن أمثلة مشكلات التنظيم الاجتماعي؛ مشكلات عمالة الأطفال والزواج العرفي، والفقير، والمناطق المتخلفة والتجديد الحضري ومشكلات التعليم والتحصيل الدراسي، والأطفال المحرومين ومشكلة الإسكان الحضري.

ولقد ثبت أن هناك تداخل بين مجموعة المشكلات الاجتماعية الأمر الذي يجعل من الصعب دراسة مشكلة واحدة دون الإشارة إلى غيرها من المشكلات، إلا أن إعطاء الأولوية لمشكلات معينة يجعل منها مشكلات رئيسية كمشكلات الاغتصاب والزواج

١- احمد عكاشة: (١٩٩٨) مرجع سابق، ص.ص ٢٥٧-٢٥٨.

العرفي والفقير والإدمان والمواصلات والتلوث البيئية وضبط النسل... الخ، حيث تحظى مثل هذه المشكلات بقدر كبير من اهتمام صناع السياسة الذين يسعون إلى تطوير برامج للتغلب على هذه المشكلات، ونتيجة لذلك توفر الهيئات الحكومية والمؤسسات الخاصة بالتمويل الضروري في صورة منح للبحث ودراسة المشكلات الاجتماعية أمام العلماء الاجتماعيين.

وحيث أن التنظيم الاجتماعي يعد ظاهرة استاتيكية أو ثابتة فإن التغيير الاجتماعية هو المفهوم الوحيد الذي يساعدنا على فهم العلاقة بين المشكلات الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي.

وعن الكيفية التي يؤدي فيها التغيير الاجتماعية إلى حدوث مشكلات اجتماعية، يمكن القول أن هناك على الأقل طريقتين رئيسيتين يسبب من خلالهما التغيير الاجتماعي حدوث المشكلات الاجتماعية:

الطريقة الأولى:

عندما يظهر سلوك جديد يؤدي إلى اضطراب البناء القائم، ويتحدى القيم الاجتماعية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأنماط القديمة من السلوك وتحدث مثل هذه العملية مع ظهور مهارات جديدة ومهن نتيجة للتنمية التكنولوجية وتعد الآلية احد الأمثلة التي تحدث اضطراباً في انساق العمل القديمة وتهدد المهن القائمة.

الطريقة الثانية:

عندما يحدث -كنتيجة للتغيير الاجتماعي- إعادة تحديد جديد للتنظيم الاجتماعي حيث يبدو عدم ملائمة الأدوار القديمة للوقت الحاضر مثال ذلك مكانة المرأة والعلاقات الجيلية^(١).

١- علي عبد الرازق: (١٩٩٩)، مرجع سابق، ص.ص ٤٠٣-٤٠٤.

الباب الثانى

الفصل الخامس

المشكلات الاجتماعية في الريف والحضر

الفصل السادس

العنف ضد المرأة .

الفصل الخامس

المشكلات الاجتماعية في الريف والحضر^(*)

تعتبر المجتمعات الريفية في مصر هي تلك التجمعات السكنية التي ليست عاصمة لمحافظة أو مقرًا لمركز من المراكز الإدارية، ولقد عانى الريف المصري على مدار تاريخه الطويل من ألوان متعددة لمظاهر الاستغلال والظلم الاجتماعي التي مارسها ضده حكام البلاد وأعاونهم والحكام الإقطاعيين سواء من الأجانب أو المصريين، كما ساهم الاستعمار البريطاني بنصيب كبير في استغلال الريف نظرًا لحاجة المستعمر إلى الموارد الأولية وخاصة زراعة القطن لتشغيل المصانع الإنجليزية^(١).

ومن أوجه الاستغلال الذي تعرض له الفلاحون على أيدي قوات الاحتلال الإنجليزي ما اتبعه الإنجليز أثناء الحرب العالمية الأولى من تعسف وقسوة في جمع أكثر من مليون فلاح للخدمة بالسخرة والتطوع الإجباري مع القوات البريطانية والاستيلاء على محاصيل الفلاحين الزراعية^(٢).

ولقد ساد في عهدا لاحتلال البريطاني عديد من مظاهر الفساد التي انعكست أيضًا على القرية المصرية حيث كان المقاول يرشو الوزير حتى يحصل على عقد بشروط مجزية له، وكان الموظف يرشو رئيسه حتى يحصل على ترقية، وكان صاحب الأرض يرشو مهندس الري حتى يحصل على ماء أكثر من حقه، وكان القضاة يصدرن أحكامهم لصالح من يدفع لهم أكثر، وكان شيوخ القرى يحصلون على رشوة لإعفاء الفلاحين من السخرية والجنديّة، أما رجال الشرطة فقد كانوا يأخذون الرشوة من كل من

* قام بإعداد هذا الفصل د. السيد عوض علي.

١- عبد المنعم شوقي: العمل مع المجتمعات المستحدثة، القاهرة، دار التعاون للطبع والنشر، ١٩٧٧م.

٢- فاطمة علم الدين: التطورات الاجتماعية في الريف، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٤م،

يشاء سوء حظه الاتصال بهم وهكذا كما يقول عالم الاجتماع المصري "عبد المنعم شوقي" تعلم المصريون ومنهم الفلاحون بأن الأمور لا تسير إلا بالرشوة وأن الوساطة هي الوسيلة الفعالة للحصول على الحقوق، وطالما أنا لفلاح لا يملك المال ولا معرفة الكبار للوساطة فأمره الله، حقيقة أنه قد يرشو شيخ البلد أو شيوخ الخفراء أو العمدة أو ضابط النقطة ولكنه لا يمكنه أن يذهب أكثر من ذلك، وأن ما يحدث فى وقتنا الحالي من محاولة الفلاح المصرية فى قضاء بعض أموره عن طريق وساطة احد أعضاء مجلس المحافظة ما هو إلا امتداد لما غرسه الاستعمار البريطاني.

ويمكن هنا عرض أهم المشكلات التي يعاني منها المجتمع الريفي:

أولاً: المشكلات الاقتصادية:

وتتمثل هذه المشكلات فى المظاهر الآتية:

١- قلة الدخل:

حيث أدى انخفاض أجور الفلاحين وارتفاع إيجار الأرض والبطالة الموسمية إلى قلة دخل الفلاح هذا بالإضافة إلى انعدام وجود مجالات غير زراعية للكسب، وفرص العمل المحدودة وكثرة الإنجاب التي تزيد من عدد الأطفال كلفة مستهلكة غير منتجة مما يقلل باستمرار من نسبة الفئة الوسطى التي تقوم بالإنتاج.

٢- ندرة رأس المال:

إن رأس المال الذي يمتلكه الفلاح يتكون من الأرض والأدوات والمواشي وهو رأس مال ثابت، وأن الحصول على رأس مال سائل يستلزم من الفلاح الاستدانة من المرابين كما أن عدم كفاية رأس المال أو عدم توفره يحول دون الاتجاه إلى الزراعة الكثيفة التي تحتاج إلى رأس مال كبير وعمالة أكثر وفترة انتظار أطول حتى يظهر المحصول.

٣- ضعف الإنتاج:

وهذه المشكلة ترتبط بعدة عوامل منها التمسك باتباع طرق الزراعة التقليدية القديمة، وعدم استعمال الأدوات الحديثة ورفض النصائح والإرشادات القائمة على الأبحاث العلمية والتجارب الناجحة، وعدم كفاية أساليب ووسائل حماية النباتات والمحاصيل والآفات والحشرات التي تفتك بجزء كبير من المحصول مما يجعل المحاصيل الزراعية تعطي إنتاجاً أقل من الحد الأمثل.

وكذلك الحال بالنسبة للحيوان والدواجن حيث أدى عدم تربية الأصناف التي تعطي إنتاجاً كبيراً في اللحم أو اللبن وبيض وعدم الدراية بوسائل التربية والتغذية السليمة إلى ضعف الإنتاج الحيواني إلى درجة كبيرة.

٤- الاعتماد على محاصيل معينة:

حيث أن الاعتماد على إنتاج محصول واحد خاصة إذا كان من المحاصيل التصديرية يجعل المنتج تحت رحمة المنافسة والمضاربة في السوق العالمية وتأثر أسعار المحاصيل بالأسعار العالمية.

٥- فرص العمل المحدودة ونقص الحرف:

وهي تعود إلى تزايد السكان بسرعة أكبر من زيادة الموارد الإنتاجية وإتاحة فرص عمل جديدة وإلى نقص في التخطيط والتدريب على الكثير من الحرف التي تحتاجها القرية والتي يمكن أن تستوعب الفائض من الأيدي العاملة مثل السمكرة والنجارة والميكانيكا وصيانة الآلات حيث أن القرية اعتادت أن تسد احتياجاتها من هذه الحرف مما هو متوفر في المدينة.

٦- قلة الاهتمام بنشر الصناعات الريفية والمنزلية:

حيث عانى الريف كثيراً من هذه المشكلة في الماضي وكان من أهم أسبابها نقص التخطيط لإنتاج الصناعات التي تنفق وحاجة الأسواق وقلة المساعدات المالية التي تقدم لتطوير الصناعات الموجودة والحصول على المواد الخام وتسويق الإنتاج، وكذلك

نقص الأبحاث الفنية اللازمة وبرامج التدريب التي تؤيد إلى الإبقاء على الصناعات اليدوية بشكل متجدد قائم على تطور صناعي وفني يجعل لها طابعا مميزاً يمكنها من الصمود أمام المصنوعات التي تنتجها المصانع الكبيرة الحديثة.

ثانياً: المشكلات العمرانية:

ومن مظاهر هذه المشكلات ما يلي^(١):

- عدم وجود تخطيط عام للقرية وانتشار مساكنها ومرافقها بصورة عشوائية.
- ضيق الطرق وعدم استقامتها مما يعوق حركة السير أو النقل داخل القرية.
- تلاصق المنازل وعدم توفر الاحتياجات المعيشية والصحية ووجود الحظائر داخلها والتخزين على سطحها.
- قلة وسائل المواصلات بين القرى أو بينها وبين المدن.
- عدم وجود طرق ممهدة توصل إلى القرى وتربطها بالطرق الرئيسية.
- عدم توافر المساكن أو الأماكن المناسبة للموظفين أو العاملين بمرافق وأجهزة الخدمات المختلفة من غير أهل القرية.

ثالثاً: المشكلات الصحية:

ومن مظاهر هذه المشكلات^(٢):

- * انتشار الأمراض المتوطنة ووجود البرك والمستنقعات كمصدر لنشر أمراض البلهارسيا والانكلوستوما والملاريا والدوسنتاريا والتيفود والتبول والتبرز في مجارى المياه مع استخدام مياهها للشرب أو للاستحمام أو غسل الخضر والملابس.
- * وجود أماكن تكاثر الحشرات الناقلة للأمراض كالذباب والبراغيث والفئران مثل أكوام

١- فوزي رضوان: مبادئ علم الاجتماع الريفي والحضري، مذكرات جامعية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، ١٩٨٤، ص.ص ٧٢-٧٣.

٢- المرجع السابق، ص.ص ٧١-٧٢.

- السباخ والفضلات الآدمية والحيوانية فى الطرقات والحظائر والمنازل.
- * قلة التهوية بالمساكن وامتلائها بالدخان الناتج عن الأفران المنزلية بما يؤدي إلى الإصابة بأمراض سوء التهوية مثل السل وأمراض الجهاز التنفسي والإنفلونزا.
 - * الجهل بالأمراض المختلفة وطرق الوقاية منها وعدم الاهتمام بالتحصين ضد الأمراض للوقاية منها.
 - * قلة الوعي الصحي والتي تتمثل فى عدم الإسراع بالعرض على الطبيب عند الشعور بالمرض حيث يفضل أهل القرية استخدام الوصفات البلدية ووسائل العلاج البدائية كما لا يهتم أهل القرية بأهمية عزل المرضى والمصابين بأمراض معدية أو الإبلاغ عنهم مما يساعد على انتشار هذه الأمراض وإصابة أفراد الأسرة والجيران بها.
 - * سوء التغذية واعتماد الفلاح على وجبات لا تقي بالاحتياجات اللازمة للجسم مما يجعله عرضة للإصابة بالأمراض الناتجة عن نقص التغذية أو الفيتامينات.
 - * عدم توفر الخدمات الصحية والعيادات الطبية بالقرى أو قلة الأطباء بها.
 - * عدم الإقبال على تنظيم النسل وكثرة انجاب الأطفال التي تؤدي إلى ضعف الأم والأطفال.

رابعاً: المشكلات الثقافية:

- ومن أهم هذه المشكلات ما يلي:
- سيطرة الأمية على غالبية السكان فى المجتمع الريفي وهذا مرتبط بظروف المجتمع وارتفاع تكاليف التعليم وقلة المدارس فى القرى مع وجود التسرب الدراسي بين أبناء الفلاحين بسبب تكديس الفصل الدراسي مع قيام الآباء بتشجيع الأبناء على ذلك للاستفادة بهم فى العمل الزراعي.
 - عدم الاهتمام بالمناهج الدراسية وعدم ملائمتها للحياة فى الريف، حيث أن نظام التعليم العام يخلق مواطناً يعرف القراءة والكتابة دون أن يتعلق ما يهم البيئة ويربطه

بها ليعيش فيها كمزارع أو صانع متقف.

- هجرة المتعلمين والمتعلمات إلى المدينة بعد أصبحوا غير قانعين بحياة الريف.
- قلة مصادر الثقافة والمعرفة في القرية مثل الجرائد والمجلات والكتب خصوصا تلك التي تناسب مستوى التعليم في القرية أو قدرات الذين محيت أميتهم.
- عدم وجود القنوات الثقافية الأخرى المتمثلة في المسرح والسينما، ولا يبقى في المجتمع الريفي سوى الإذاعة والتلفزيون وقد يلعب هذين المصدرين دورا فعالا في التنمية الثقافية عند الريفيين، لكنه وفي ظل سيطرة قيم ومفاهيم الطبقة الوسطى المصرية على هذه الأجهزة فإن الإذاعة والتلفزيون يلعبان دورا معاكسا في تشويه ثقافة أهل الريف، ويبث فيهم عناصر ثقافية مشوهة ومتضاربة مما يفقدهم وعيهم النظري في الوقت الذي لا يكتسبون فيه وعيا حقيقيا بمشاكلهم وطرق حلها، وبالتالي نجدهم فاقدين وعيهم الثقافي تماما أو على الأقل قابعين في أسر وعي زائف، وأن افتقاد أهل الريف للوعي الثقافي يهبط لهم الوقوع في براثن المفاهيم القدرية والتواكلية وتغلب فيهم الأمراض الاجتماعية والنفسية^(١).

خامسا: المشكلات السياسية:

تتبع المشاكل السياسية للقرية المصرية من مصدرين أساسيين:

المصدر الأول: هو التاريخ السياسي القديم للقرية المصرية.

المصدر الثاني: وهو الواقع السياسي المعاصر للقرية المصرية.

فالفلاح المصري منذ أقدم العصور كان خاضعا لسيطرة حكام وملاك تباينت مسمياتهم على مدار التاريخ فمن مالك الرقبة وهو الدولة أو حاكم البلاد فرعون مصر الذي كان يملك كل شيء في البلاد إلى حكم الأمراء في عهد الإغريق والرومان والحكم

١- سام باسليوس وآخرون: مبادئ علم الاجتماع الريفي والحضري، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، ١٩٨٣، ٣٩١.

العثماني، والمماليك ثم محمد علي وأبنائه والاحتلال البريطاني وما تضمن ذلك من ظل فادح للفلاح المصري من حيث عدم تملكه للأراضي، وتطبيق نظام الالتزام هذا النظام الذي ابتدع في نهاية عصر المماليك ويقصد به أن يلتزم شخص بجباية الضرائب الزراعية المقررة على قرية أو أكثر ويعطي له عقد الالتزام وأمر إلى مشايخ دائرة التزامه وأهلها بالخضوع لأوامره وتأدية الأموال إليه، وذلك بعد أن يدفع مبلغا من المال مقدما باسم "المعجل" وبعد ذلك يحق له أن يجتهد في الحصول على المال الذي "عجله" للخرينة، وعلى فوائده التي كان يقرر سعرها هو بنفسه كما يريد، وكان يحصل على ارض غير التي التزمها معفاة من كل ضريبة، يزرعها له أهل سخرة لمنفعته وهي المعروفة "بالأواسي"، ويقول عالم الاجتماع المصري عبد المنعم شوقي أن الضرائب كانت تمثل الصلة الأولى بل الوحيدة أحيانا بين الشعب المصري وحكامه، وكانت هي المصدر الرئيسي للدخل للدولة في معظم العصور، ولم يكن هناك عدالة في توزيع الأعباء الضريبية بين المواطنين، فبينما كان الفلاح منهكا بأنواع لا حصر لها من الضرائب كان الحكام وكبار رجال الدولة لا يكادون يشعرون بها، وكان جزء كبير من دخلها ينفق على حياة البذخ التي كان يحياها كبار رجال الدولة بينما السواد الأعظم من الريفيين يعانون شظف العيش وقسوة الحياة، يضاف إلى ذلك القسوة البالغة في جمع الضرائب وتوقيت جمعها الذي كان كثيرا ما يختلف مع مواعيد جمع المحصول.

كما يضيف عالمنا الجليل عبد المنعم شوقي أن الفلاحين كان مستبعبدين عن المشاركة في الحكم، حيث أن مشاركة الفلاحين في الحكم أمر بعيد المنال وبعيد عن التصور في أي عهد من عهود الحكم منذ قداماء المصريين إلى بداية ثورة ١٩٥٢، ونقصد بذلك حق مشاركة الفلاحين في حكم القرية، والمقصود بالفلاحين هنا العمال الزراعيين وصغار الملاك.

فلقد كان المستعمر الإغريقي والروماني والغربي مسيطرا في العادة على الحكومة

المركزية وحكومات الأقاليم تاركا حكومة القرية لكبار الملاك الذين يخضعون الفلاحون لإرادتهم عن طريق القسوة حيناً والهيمنة على مقدرتهم لاقتصادية حيناً آخر، حتى في الفترات الأخيرة منذ ثورة عرابي ووصل الكفاح المسلح إلى مرحلة لا بأس بها واضطر الإنجليز تبعا لذلك إلى إشراك المصريين في الحكم في مستويات مختلفة، إلا أن الفرصة كانت مواتية لكبار الملاك دون غيرهم وبقي الفلاح الحقيقي بعيدا عن الاشتراك في الحكم أيا كان لونه أو مستواه، لهذا كله كانت الأمور تسير إما في صالح المستعمر المستغل أو صالح المالك الكبير المستغل، أما الفلاح فقد كان دائما هو موضع الاستغلال^(١).

أما المصدر الثاني وهو الواقع السياسي المعاصر للقرية المصرية ويمكن هنا أن نعتبر ثورة ١٩٥٢ هي البداية الحقيقية لمشاركة الفلاح في الحكم حيث نصت حكومة الثورة على ضرورة مشاركة العمال والفلاحين بنسبة لا تقل عن ٥٠% في المجالس التشريعية، إلا أن تاريخ الظلم والحرمان السياسي الطويل على مدار العصور السابقة على الثورة، ساهم في ترك العديد من الآثار السلبية على الفلاح المصري، حيث اتسمت شخصيته بالسلبية والاتكالية وعدم التمرس على استخدام الأساليب الديمقراطية، بل إن مشاركته السياسية كانت بهدف تحقيق أهداف شخصية لا أهداف عامة، كما نلاحظ في أوقانتنا الحالية وعمليات انتخاب عضو مجلس شعب أو عضو مجلس محلي.. الخ، هذا بالإضافة إلى أن الفلاح بطبعه لا يثق في الحكومة وممثليها فهو يقف موقف الريبة ولاشك والتوجس من ممثلي السلطة وهذا ما أدى بالطبع إلى اتساع فجوة الثقة بين الفلاح والحكومة التي تهدف أساساً إلى تحقيق مصالحه إلا أن الشعارات الهوجاء التي يطلقها بعض المسؤولين لتحسين مصالح الفلاح ورفع مستوى معيشته والتي قد ينخدع لها بعض البسطاء من الفلاحين ثم يفاجئون بما يتسم به هؤلاء المسؤولين من كذب وخداع وتضليل فن ذلك كله يؤدي إلى اتساع فجوة الثقة بين الفلاحين والحكومة.

١- عبد المنعم شوق: (١٩٧٧)، مرجع سابق، ص ٩٥-١٢٧.

سادسا: المشكلات الاجتماعية:

وتتمثل هذه المشكلات فيما يلي:

أ - تفشي بعض العادات والتقاليد التي تحد من التطور وتعتبر معوقاً للتنمية ومن هذه العادات والتقاليد الفهم الخاطئ لحق القصاص في الإسلام بما أدى إلى تفشي ظاهرة الأخذ بالثأر، وكذلك تفشي ظواهر التعصب القبلي الدينين والتمسك ببعض الأمثال الشعبية التي تشجع على السلبية والتواكل، وعلى سبيل المثال فإن من طبيعة المجتمع القروي أن يحول دون خروج المرأة إلى العمل خوفاً من مشاركتها في الحياة ونضج وعيها حيث يقولون في أمثالهم (اللى تخرج من دارها ينقل مقدارها) كما يقولون (قعدتي بين اعتابي ولا قعدتي بين احبابي) كما أن هناك أمثلة تشجع على عدم الإقبال على العلاج الطبي والاستفادة من التقدم العلمي في هذا المجال حيث يقولون (اسأل مجرب ولا تسأل طبيب).

ب- تفشي بعض القيم السلبية التي تعد احد المقومات الأساسية أمام تنظيم الأسرة ومكانة المرأة في المجتمع الريفي ومن بين هذه القيم والمعتقدات ما يلي:

١- التباهي بكثرة إنجاب الذكور:

حيث نجد في الريف تفشي المثل القائل "العزوة حلوة" حيث أن الأولاد يمثلون قوة إنتاجية من ناحية واجتماعية من ناحية أخرى، فهم قوة إنتاجية لأنهم يقومون بكثيرة من العمليات الزراعية منذ طفولتهم، وهم أيضاً قوة اجتماعية لدورهم في تحقيق هبة العائلة ومكانتها وسطوتها في المجتمع القروي، وينسى أهل الريف أو يتناسون أن التفاخر في القرن الحادي والعشرين ليس بالعدد وإنما بنجاح الأسرة في تأدية دورها في إعداد الأولاد وتربيتهم في ضوء متطلبات عصر التكنولوجيا والعولمة، كما أن تحقيق الهبة والسطوة والمكانة لم يكن إطلاقاً بكم الأولاد بقدر ما يكمن في كيفية إعداد هؤلاء الأولاد خاصة وأن الدولة أعطت للقانون والنظم السائدة في المجتمع القوة في حماية كافة الأسر على

حد سواء.

٢- تفضيل الذكر على الأنثى:

ويكون هذا التفضيل مبني على عدة أسس ما زال يؤمن بها كافة أفراد المجتمع الريفي ونحن في أوائل القرن الحادي والعشرين ومن هذه الأسس أن الذكور يحافظون على اسم الأسرة في نسلها، كما ن ميراث الذكر ضعف ميراث الأنثى فهم بذلك يحافظون على ملكية الأسرة بعكس الأنثى التي تنتقل ملكيتها إلى أسرة زوجها وهناك العديد من المظاهر التي يمكن أن نشاهدها في بعض الأسر الريفية والتي تدعم هذا التفضيل أن النساء يتناولن طعامهن بعد الرجال، وغالبا ما يكون اقل منه في المقدار، فالرجل يعمل وينتج أما المرأة فدورها واهن وضعيف، وهناك من الأمثلة السائدة في ريفنا المصري تؤكد على مبدأ التفضيل منها "من كثرت بناته صارت الكلاب صهراته، أم الغلام تستاهل الإكرام، يجعل عزوته رجاله"، إلا أننا يجب أن نذكر أهل الريف بأن تعليم الفتاة وخروجها لى العمل جعلها تتساوى مع الفتى في شتى مجالات الحياة بل وفي كثير من الأحيان تتفوق عليه في مجال التعليم والعمل، فالفتاة قبل زواجها وبعد دخولها في مجال العمل تساهم في ميزانية أسرته، هذا بالإضافة إلى دور الفتاة بعد الزواج في المساهمة في تدبير ميزانية أسرته الجديدة بالمشاركة مع زوجها.

٣- الاعتقاد في أن الابن الوحيد يجب أن يعوض ما لم تقدر عليه أمه:

حيث يعتقد أهل الريف أن الابن أو الابنة الوحيدة أن يسعيا بقدر الإمكان إلى زيادة الإنجاب وذلك تعويضا عن ما لم تقدر عليه أمهما ... ويجب أن نذكر أهل الريف أن القدرة على الحمل من الأمور التي لا تورث، وانه يجب أن تعطى للنساء الجديد الحرية في كيفية تكوين الأسرة وفي تنظيم الإنجاب طبقا لظروفهم.

٤- الاعتقاد في أن تنظيم النسل تدخل في مشيئة الله وكفر به؛ ويسود هذا الاعتقاد في

المجتمع الريفي المصري حيث أن معظم أفراده لا يخططون لمستقبل حياتهم وإنما يتركون أمورهم للحظ والمصادفة، ولذا فإن دور الوعي والإرشاد الديني هم جدا في بيان أحكام الدين الحنيف الحق في هذه الأمور، فالدين الإسلامي حض على استخدام العقل والتفكير والعلم في تخطيط حياة الإنسان وبذلك الجهد والعرق في سبيل كسب العيش ولا تعارض مطلقا بين تعاليم الدين واتخاذ الإنسان ما يراه في مصلحته ويحقق صحة الأم ويتناسب والإمكانيات الاقتصادية للأسرة.

٥- الاعتقاد في أن المحافظة على الزوج لا تتم إلا بكثرة الإنجاب: حيث يسود هذا الاعتقاد بين النساء الريفيات ويبررن ذلك بأن كثرة الإنجاب كفيلة بأن تستهلك الموارد الاقتصادية للزوج التي لا تجعله يفكر في الزواج مرة أخرى، بل ويسود بينهن المثل الشعبي "قصصى ريش طيرك ليلوف بغيرك"، وتتم هذه المقولة عن طريق استنفاد موارد الزوج الاقتصادية بالصرف على الأولاد الكثيرين، وهذا بالطبع اعتقاد خاطئ لأن الفيصل في تفكير الزواج بزوجة أخرى ليس مجرد اقتصاديات الزوج بل قد تكون اقتصاديات الزوجة الجديدة من العوامل المؤثرة في الزواج علاوة على زوجته، كما أن زيادة مسئولية الأعباء إلى الدرجة التي تثقل كاهل الزوج وتفق طاقاته الاقتصادية قد تضطره إلى الهروب من الحياة الزوجية، خاصة وأن مسئوليته الشرعية لا تتعدى ربع أجره أو مرتبه، وكما يقول مثل آخر يعارض المثل الأول "إذا كنتي عايضة جوزك يطير خلفي له عيال كثير".

وهنا نعرض بعض العوامل والمتغيرات التي إن فكرت فيها الزوجة العاقلة جعلها لا تقبل على الإنجاب بكثرة حتى يمكن أن تحافظ على زوجها.
ومن هذه التغيرات:

- لا تتمكن الزوجة بكثرة الإنجاب وتكراره من المحافظة على قوامها وجمالها وصحتها، كما أن ذلك يتطلب رعاية عدد كبير من الأولاد وهذه الرعاية تؤثر بلا شك في صحة

- الأم الجسمية والانفعالية والعاطفية وينعكس ذلك على علاقتها بزوجها.
- لا تجد الأم مع العدد الكبير من الأولاد وقتاً مناسباً لتراعي مصالح زوجها اللهم إلا إذا أهملت مصالح أولادها.
- المشكلات والمضايقات الاقتصادية والمالية الناشئة عن عدم كفاية الدخل وعدم توازنه مع متطلبات الكثرة العددية تقضى على إمكانية محافظة الزوجة على زوجها.
- كثرة الإنجاب تؤثر تأثيراً سلبياً على صحة الأم مما يستلزم بنداً خاصاً لعلاجها ورعايتها الطبية.
- إذا فالنجاح والاستمرارية للأسرة وتماسكها واستقرارها لا يتحقق بالكثرة العددية بل قد تكون هذه الكثرة سبباً في انهيارها وتصدعها.
- ٦- الاعتقاد في أن الأولاد مصدر رزق للأسرة:
- حيث أن أهل الريف بصفة عامة يعتقدون في أن الأولاد مصدر رزق للأسرة بزيادة عدد الأولاد تسهل له عملية فلاح الأرض إذا كان مالكا لها، أما إذا كان عاملاً أجيلاً فإن زيادة عدد الأولاد تمكنه من أن يزيد من دخل الأسرة من خلال تشغيلهم في العمليات الزراعية، إلا أن الواقع الذي قد يجعله أهل الريف يؤكد أن زيادة عدد الأولاد تعد تكلفة لا يقابلها عائد إلا بعد مدة طويلة خاصة بعد إلزامية ومجانية التعليم الأولي، ومن الواجب على الباحثين في كافة الأمور المتعلقة أن يذكروا أهل الريف بهذه الحقيقة.
- فبالأسرة لكي تؤد واجبها على أكمل وجه خاصة في عصر العولمة لا بد من الآتي:
- حسن اختيار طرفيها كل منهم الآخر.
- إدراك كل من طرفي الأسرة لواجباتها ومسئولياتها في الكيان الأسري.
- توفير مصدر الدخل اللازم لتوفير الضروريات اللازمة لحياة الأسرة والتخطيط السليم لأوجه إنفاق هذا الدخل مع العمل على أن يكون هناك رصيد مدخر لمواجهة الطوارئ.

- تزويد طرفي الأسرة بالمعلومات الأساسية في مختلف نواحي الحياة الأسرية وعلى الأخص الثقافة الجنسية، الثقافة الصحية، نفسية الطفل وأسس تنشئته ورعايته صحيا وعقليا ونفسيا واجتماعيا، وكذلك ما يرتبط بالوجبات الغذائية المتكاملة في حدود إمكانيات الأسرة، الإصلاحات المنزلية البسيطة وكذلك الإسعافات الأولية.

- إيمان طرفي الأسرة بأن الحياة الزوجية تتطلب التعاون والتراحم والتواد بين طرفيها وأن يعمل كل منهما بإيجابية على إسعاد الآخر وإزالة العقبات لاتي قد تعوق الاستقرار والتماسك الأسري.

هذا ومن بين الأهداف التي تكمن وراء إقامة وتكوين الأسرة إنجاب الأولاد وتنشئتهم وإعدادهم للحياة حفاظاً على الجنس وأداء لرسالة متتابعة منذ بدء الخليفة، إلا أن الإنجاب لا يجب أن يكون الهدف الرئيسي للأسرة ولا أن يغالى على تقدير أهميته بحيث يحجب الأهداف الأخرى وأهمها المودة والرحمة والتعاون والألفة والمعاشرة الحسنة والحياة المريحة للطرفين، كما أن هذا الإنجاب لا يجب أن يتجه إلى العدد بالكثرة؛ وإنما إلى الملائمة بين إمكانيات الأسرة والمجتمع اقتصاديا واجتماعية وصحيا... الخ، ويوضح العدد الذي يمكن للأسرة إنجابه، أن تنظيم الإنجاب له أكبر الأثر في حياة الأسرة وتخطيط مستقبلها.

ومما هو جدير بالذكر هنا هو أن الميل إلى كثرة الإنجاب وزيادة عدد الأولاد تتناسب عكسيا مع المستوى الثقافي لطرفي الأسرة، فالأسرة الأكثر ثقافة أكثر إحساسا بالمسئولية وبالتالي أعمق إيمانا بأهمية تنظيم الإنجاب من الأسرة الأقل ثقافة والتي تدرك إدراكا حقيقيا لمسئوليتها في إعداد أطفالها للحياة إعداداً سليماً يتفق وتطور هذه الحياة^(١).

وهناك العديد من المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها الريف المصري بصفة

١- حسن همام: علم الاجتماع وقضايا في علم الاجتماع الريفي، كفر الشيخ، مطبعة الأصدقاء،

عامة وفي صعيد مصر بصفة خاصة منها مشكلة التعدي على الأراضي الزراعية تلك المشكلة التي أدت إلى خلق العديد من المعوقات أمام التنمية الزراعية فى تحقيق معدلات سريعة للنمو والتي خصص لها الكاتب دراسة مستقلة؛ ومنها أيضاً مشكلة الثأر والتي اعتقد البعض أنها فى سبيلها إلى الاندثار إلا أن كارثة بيت علام بجرجا التي وقعت فى تمام الساعة السابعة صباح يوم السبت الموافق ١٠ أغسطس ٢٠٠٢م، والتي راح ضحيتها ٢٢ فرداً من عائلة واحدة أمر يجعلنا نعيد النظر فى دراسة هذه المشكلة فعلى الرغم من أن الثأر تصرف انفعالي يقصد به إزهاق الروح وبدافع الانتقام الغريزي يقوم به فرد أو أكثر من أقرباء المجني عليه ضد الجاني أو أكثر من الأقربين إليه، إلا أن الثأر فى حقيقة الأمر نظام اجتماعي حيث أن المجتمع كله يعترف بحق الرد العدوانى المماثل طبقاً لشروط معينة، ولقد خصص الكاتب لهذه المشكلة أيضاً دراسة مستقلة.

ثانياً: مشكلات المجتمع الحضري:

مقدمة:

يختلف ساكنى المدن عن ساكنى الريف فى عدد من الطرق والأساليب، فساكنى المدن لهم مستويات مرتفعة من الدخل والتعليم، وحراك اجتماعي أكبر، وأسر صغيرة الحجم، وتنوع أكبر، وزواج أقل استقراراً، ومعدلات أعلى فى إدمان الخمر وتعاطي المخدرات والانتحار والمرض العقلي.

وهناك فرق واضح بين الحضريّة Urbanism والتحضر Urbanization فمصطلح الحضريّة يشير إلى نظام للمعايير والقيم وإلى مستوى الأفراد فبالمعتقدات والاتجاهات والسلوك^(١)، ويرى لويس ويرث Louis Wirth أن الحضريّة

١-Mannel Castells, "Theory in Urban Sociology", in C.G Plckvance, "Urban Sociology, Critical Essays", London: Tavistocks Publications Ltd., ١٩٧٧, p. ٦٥.

يمكن تحديدها كطريقة للحياة، ووضع الحجم، والكثافة، وعدم التجانس في الاستقرار والثبات، وهى أساس المعيار الذي يجب أن يستخدم في تحديد الحضرية^(١)، أمام التحضر يمكن تعريفه بأنه العملية التي يتم بها زيادة سكان المدن عن طريق تغير الحياة في الريف من حياة ريفية إلى حياة حضرية، أو عن طريق هجرة الريفي إلى المدن الموجودة، ويشمل ذلك التغيرات التي تحدث لطبائع وعادات وطرق معيشة سكان الريف حتى يتكيفوا للمعيشة في المدن^(٢)، وفى الحقيقة فإن التحضر فى الحالة الأولى - أى عن طريق تغير الحياة فى الريف - ليس بالمشكلة الكبرى إذا قيس بالتحضر عن طريق الهجرة لأن التحضر فى الحالة الأولى يحدث تدريجيا وبذلك يسهل على الريفيين التكيف فى الحياة الجديدة، أما فى الحالة الثانية؛ وهى هجرة الريفيين إلى المدينة فإن هذه الحالة يصاحبها فى اغلب الحالات هزة نفسية وصدمة ثقافية Cultural Shock تترك المهاجر قلقا حائرا مبلبل الفكر مما يؤثر فى عمله وإنتاجه بقدر كبير^(٣)، وعلى أية حال فإنه يمكن القول بأن للحضرية مدلولاً استاتيكيًا حيث ينظر إليه كطريقة للحياة، فى حين أن للتحضر مدلولاً ديناميكيًا حيث يعرف كعملة تحويل المناطق الريفية إلى مناطق حضرية أو العملية التي يتم بها زيادة حجم سكان الريف الذين يأتون للمعيشة فى المدن^(٤).

والحضرية كما يقول "مارشال كلينارد" هي أسلوب فى الحياة يصاحبه عادة مجموعة من الخصائص كالفردية والتغير الثقافي السريع ولمادية المفرطة والانهيال فى وسائل الضبط غير الرسمية، وقد ترتبط هذه السمات بالتحضر الذي ينتج عن تركيز

١- Josef Gugler and Willam, G. Elanagen, "Urbanization and Social change in West Africa, U.S.A. Cambridge University Press, ١٩٧٨, p١٩.

٢- عبد المنعم شوقي: مجتمع المدينة الاجتماع الحضري، ط٥، القاهرة، مكتبة القاهرة، ١٩٩٧، ص٢٣.

٣- المرجع السابق، ص١٠١-١٠٢.

٤- Steven Vago; (١٩٨٩), Op. Cit., p. ١٣٧.

السكان وتوطن الصناعة، والحضرية لا ترتبط دائما بالتحضر على الرغم من أن هناك مناطق ريفية تحيطها مدن كبرى ولكنها لا تمثل في الواقع سوى عدد ضئيل من هذه السمات، كما أن المدينة في حد ذاتها قد تتباين في درجة توفر السمات الحضرية فيها، ولقد أدت الحضرية إلى التحول في العلاقات الاجتماعية في مختلف أنحاء العالم، وأصبحت المرأة الحضرية تتمتع بقدر كبير من الاكتفاء الذاتي مطالبة بتحقيق المزيد من المساواة بالرجل، كما أنها أصبحت غير قانعة بالأدوار التقليدية للأسرة، كما أدت الظروف الحضرية إلى معاناة كبار السن للهامشية والاعتزاب، حيث يفقد كبار السن مكانتهم وأدوارهم تلك التي كان تحقق لهم الشعور بالهوية، وهذا ما أثبتته كثير من البحوث والدراسات السوسولوجية، ولقد حطمت الحضرية كثيرا من النسق العائلي التقليدي وخلق جماعات جديدة تركز على أسس عديدة كالعمر والمهنة والتعليم، كما أنها ساعدت على ظهور الثقافات الفرعية للمراهقين التي تختلف غالبا عن ثقافات الأسرة والمدرسة، ومن خلال الآثار التي نجمت عن الحضرية يمكن أن نجد تفسيراً مقنعا للجرائم التي يرتكبها الشباب.

ولقد كشفت الدراسات المعنية بتأثير الحراك المكاني على السلوك المنحرف عن إحدى المشكلات التي يعاني منها المجتمع الحضري؛ حيث أشارت إلى أن العامل الأمريكي يميل إلى تغيير محل إقامته ثماني مرات خلال حياته، وأن هناك اثنين من ثلاثة يهجرون تماما المجتمع الذي نشؤوا فيه، ولا شك أن الحراك المكاني حتى في حالة كونه داخل المجتمع يتضمن غالبا فقدان الأهل والأقارب والجيران ومن ثم يواجه الأطفال والراشدون معايير وأدوارا جديدة، وهنا يتحتم عليهم التوفيق بينها وبين تلك التي ألفوها من قبل^(١).

١- Marshall, B. Clinard: "Sociology of Deviant Behavior", N.Y. Holt, Rinhart Winston, ١٩٦١, pp.٥٧-٥٩.

تاريخ المدن: History of Cities

تعد المدن الكبرى ظاهرة حديثة نسبياً، حقيقة أن التاريخ القديم يحدثنا عن بعض المدن مثل أثينا وروما والقدس وإسطنبول، ولكن بالمقارنة بالمراكز الحضرية المعاصرة فإن هذه المدن تبدو صغيرة، فمثلاً في عام ١٤٠٠ كانت لندن أكبر مدينة في أوروبا وكان عدد سكانها ٣٥ ألف نسمة^(١)، اليوم مدينة نيويورك بها أكثر من ٧ مليون مواطن، وإذا ما أجملنا عدد سكان ضواحي مدينة نيويورك سيصبح عدد سكانها أكثر من ٢٠ مليون مواطن^(٢)، ولقد ازداد عدد المدن في الولايات المتحدة الأمريكية تحت تأثير ظهور الثورة الصناعية، فحتى القرن التاسع عشر كانت الولايات المتحدة الأمريكية عبارة عن دولة ريفية يعيش فيها اغلب السكان ويعملون في مزارع صغيرة، وأن مدن قليلة كانت أساساً بها أسواق.

وفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر ازدهرت الثورة الصناعية في أوروبا وأمريكا وكان ذلك في الأساس ناتج عن التقدم التكنولوجي مثل تطور محركات البخار. وقبل الثورة الصناعية كانت توجد مجتمعات قليلة في أوروبا وأمريكا التي كان سكانها يزيد على بعض الألف وأن إحدى نتائج الثورة الصناعية تكمن في تطور المناطق الحضرية الواسعة التي تعتمد بصفة أساسية على الصناعات، وتحت تأثير ضالة فرص العمالة في المناطق الريفية، فإن كثيراً من العمال تحركوا إلى المدن، ومع مثل هذه الحركات انهارت وتحطمت الروابط الأسرية والقروية، وهؤلاء الذين أصبحوا غير قادرين على التأقلم مع ما يواجهونه من افتقاد للهوية المحلية والاعترا ب والانهيار الاجتماعي.

١- Paul B. Horton, Gerald R. Leslie and Richard F. Larson: The Sociology of Social Problems, ١٠th ed., (Englewood Cliffs N.Y: Prentice, Hall), ١٩٩١, p. ٢١٤.

٢- William Karnblum and Josep Julian: Social Problems, ١th ed., Englewood Cliffs, N.Y. Prentice, ١٩٩٢, p. ٤٢٨.

كما أن الابتكارات التكنولوجية (مثل اختراع المصعد واستخدام الحديد الصلب في تشييد المباني) جعلت من السهل على المدن أن تتسع بصورة رأسية عمودية، كما أن الاختراعات الأخرى مثل خطوط السكك الحديدية والسيارات جعل من السهل على المدن أن تتوسع بصورة أفقية أيضًا، ولقد ساعدت خطوط السكك الحديدية على ربط أقاليم الدولة مع بعضها البعض من خلال التزود بوسائل النقل السريع للأشخاص والبضائع كما تم بناء عدد من المدن على طول خطوط السكك الحديدية وحدث بعض التطور للمدن الكبرى.

وفي الماضي ومنذ قرنين من الزمان حدثت حركة مثيرة للناس من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية ففي عام ١٧٨٠ كان حوالي ٩٠% من سكان الولايات المتحدة الأمريكية يعيشون في المناطق الريفية وغالبا في مزارع صغيرة، أما الآن وبالتحديد في عام ١٩٩٢ فإن أكثر من ٧٧% من سكان الولايات المتحدة الأمريكية يقيمون في المناطق الحضرية^(١).

ولقد أدى النمو السريع للمدن إلى خلق مجموعة متعددة من المشكلات الاجتماعية، بعض هذه المشكلات أمكن حلها؛ فمثلا في بداية القرن العشرين عنكما كان الخيل هو الأسلوب السائد للنقل كان يوجد قلق خطير حيث أن روث الماشية كان يشوه الحياة في المدينة ويساعد على نشر الأمراض، وأن اختراع السيارة ساعد على حل هذه المشكلة ولكنه خلق مشكلات جديدة منها تلوث الهواء والضوضاء وحوادث المرور التي أدت إلى قتل عدد كبير من الأبرياء وازدحام المواصلات والأعطال المرورية... الخ.

وقبل بداية القرن العشرين كان معدل الوفيات في المدن يفوق معدل الوفيات في الريف، ولقد تم حل هذه المشكلة في بداية القرن العشرين بواسطة تطور نظم الاستهلاك المتكافئ ونظم إمداد المياه، كما أن الاختراعات والابتكارات في الصحة العامة والطب

١- Ibid., p. ٤١٩.

فى القرن العشرين أدت إلى تحسين ظروف المعيشة الحضرية، ومع ذلك فإن كثير من المشكلات الحضرية قد ظل بدون حل وبعض هذه المشكلات قد ازدت خطورة وضراوة.

تعريف المناطق الريفية الحضرية:

من الجدير بالذكر أن معيار التفرقة بين الريف والحضر فى مصر يتم على أساس إداري فى حين أن معيار التفرقة بين الريف والحضر فى أمريكا يتم على أساس إحصائي، كما تعد البيروقراطية أحد أهم مظاهر الحضرية، ويرى بوجي Boye أن المناطق الحضرية هى تلك المناطق التي يستوطنها عدد كثيف من السكان حيث المصانع والتجارة والإدارة وعدد ضخم من الخدمات المتخصصة، أما المناطق الريفية من وجهة نظر بوجي فهى تلك المناطق التي يقطنها عدد ضئيل من السكان وقد يكونوا متخصصين فى الزراعة والغابات أو العمل فى استغلال الموارد^(١).

ويبدو انه من الصعب علينا أن نحدد بشكل قاطع الخط الفاصل بين المناطق الريفية والمناطق الحضرية، فقد كانت الزراعة فى الماضي مثل على الحياة الريفية، أما اليوم فإن كثير من المناطق الريفية تتوفر فيها خصائص الحياة الحضرية، فعلى سبيل المثال فى المناطق الريفية القريبة من المراكز الحضرية نجد كثير من الناس الذي يعملون فى المدن يشيدون منازلهم فى الريف، كما يوجد أيضاً محلات البقالة، ومحطات للخدمة وبعض الأعمال الأخرى التي من شأنها تتعدل فى مثل هذه المناطق بشكل يجعلها تصبح تدريجيا منطقة شبه ريفية وشبه حضرية فى آن واحد، هذا بالإضافة إلى أن معدل كبير من المزارع يتم إجراؤها فى ضوء ما يسمى بالمقاولات الزراعية Agribusiness، وهذه المقاولات الزراعية تحل محل المزارع الصغيرة، كما تحمل المقاولات الزراعية بعض خصائص الحضرية^(٢).

١- D. Gouge: Principle of Demography, N.Y., Wiley, ١٩٦٩, p. ٤٦٥>

٢- Charles Zastrow: Social Problems, ٤th ed., p. ٤٧٤.

نظريات تأثير الحضرة

هناك بعض التساؤلات التي مؤداها هل لساكني الحضرة أسلوب فريد في النظر إلى الحياة؟ وما هي تأثيرات الحضرة على ساكني المدينة؟ ولعل الإشارة إلى نظريات كل من جورج زيميل George Simmel ولويس ويرث Louis Wirth وهربرت جانس Herbert Gans وكلود فيشر Claude Fischer نجد إجابة لمثل هذه التساؤلات.

جورج زيميل: George Simmel

عرض جورج زيميل عالم الاجتماع الألماني قضيته وأفكاره الكلاسيكية في كتابه المدينة العاصمية والحياة العقلية *The Metropolis and Mental Life*، والمنشور في عام ١٩٠٣^(١)؛ حيث لاحظ جورج زيميل أن الحضريين يتسمون بشكل دائم بالنشاط العصبي الحاد تحت تأثير المواصلات والضوضاء والخطوات السريعة للحياة، والإعلانات العديدة والزحام وكثير من المنبهات والمثيرات، وتؤدي مثل هذه المثيرات إلى زيادة تحميل على طاقة ساكني المدين الذين لا يهتمون بأي شيء يجري حولهم، كما أنهم لا يهتمون جيدا بالأجنبي أو الغريب والمعارف الشخصية، وعلى أية حال فإن المدن تقدم فرصا أكبر للأسماء المستعارة والحرية لكي تكون غير تقليدية، كما أنها تزيد من فرص أن يكن السكان منعزلين ومنفردين.

لويس ويرث: Louis Wirth

تتشابه النتائج التي توصل إليها لويس ويرث مع ما وصل إليه جورج زيميل حول التأثير السيكولوجي للحياة الحضرية، ولقد نشر ويرث نظريته في عام ١٩٣٨ حينما كان

١-George Simmel: *The Metropolis and Mental life*, in *Neighborhood City and Metropolis*, ed. R. Gutman and D. Popenoe, (N.Y.: Random House, ١٩٧٠).

يعمل في قسم الاجتماع بجامعة شيكاغو^(١)، ولقد طابق ویرث الخصائص الفريدة للمدن من حيث الكثافة والحجم والنوع لسكانها، وارتكزت نظريته على أساس أن المدن تزيد من مدى تأثير الشخصية والاضطرابات الاجتماعية.

ولقد اتفق ویرث مع زيميل في أن توافر القدر الهائل من الإثارة والنشاط تقود سكان المدن إلى أن يصبحوا غير مهتمين بالغرباء والمعارف الشخصية، حيث يصبح المقيمون بالمدن غرباء A Loaf ومجهولين Impersonal وأكثر جفافاً وفضاظة Brusque في تفاعلاتهم مع الآخرين، مثل هذه الأمور المنفرة تهلهل الروابط التي توحد الناس الريفيين، وفي بعض الحالات تكون هذه الروابط ممزقة تماماً الأمر الذي يؤدي إلى وجود ضحايا في المدن م خلال الإحساس بالاغتراب Alienation والعزلة والوحدة Loneliness الأمر الذي يجعلهم يحلقون في خيالاتهم وأوهامهم ويفقد هؤلاء الدعم الانفعالي والضابط المجتمعي ونتيجة لذلك فإنهم يكونون أكثر ملئمة لأن يكونوا إما في حالة إبداع، أو أن يقبوعوا في السلوك المضاد اجتماعياً الذي يتضمن الجريمة والانتحار والجناح والاضطرابات الانفعالية والسلوكية.

وتسهم حياة المدينة في انهيار التحفظات والضوابط الاجتماعية والعلاقات بين الأشخاص بأسلوب مختلف، وتؤكد المدنية على المنافسة الاقتصادية وتقسيم العمل، وفي حالة التخصص العالي فإن الناس طبيعياً أن يعرف الواحد منهم الآخر بشكل سطحي، وهذا يعني أنهم يتفاعلون في أدوارهم كالحلاق، وموظف البنك، وعامل البقالة، وسائق الأتوبيس فنادرًا ما يسعون إلى أن يعرف الواحد منهم الآخر بأسلوب عاطفي، ونتيجة لذلك فإن سكان المدن يكونون أقل احتمالاً لأن تكون لديهم روابط انفعالية حميمة فهم أكثر شعورًا بالعزلة والحدة في وسط الجماهير الضخمة، ويتعلم ساكنوا المدينة كيفية تقبل عدم

١- Louis Wirth: Urbanism As A Way of Life, American Journal of Sociology, ٤th July, ١٩٣٨, ١-٢٤٠.

الاستقرار وعدم الأمان كأسلوب للحياة.

وهناك عوامل أخرى تؤدي إلى انهيار الروابط الاجتماعية فساكني المدينة مجبرون يوميا لأن يقوموا بأدوار عديدة مختلفة في تفاعلاتهم مع الجيران وفريق العمل، والعملاء، والتجار، والأصدقاء، والعائلة، حيث أن كثرة الناس والأماكن تؤدي إلى ضعف الروابط الاجتماعية، وبالإضافة إلى ذلك فإن الناس حيث أنهم يقضون أوقات كثيرة في التفاعل مع الآخرين في العمل وفي أنشطة وقت الفراغ المميزة، فإن الأسرة تصبح أقل أهمية، فكثير من سكان الحضر يشعرون بالبعد ولديهم إحساس بالأنومي، وطبقا لوجهة نظر ويرث فإن كل هذه العوامل تؤدي إلى ضعف أو انحدار القيم الأخلاقية وتشجع على التفتت أو التشويش الاجتماعي Social Disruption وتعزز الاضطرابات الشخصية.

هربرتجنز : Herbert Gans

ليس كل علماء علم الاجتماع الحضريين متشائمون حول الحياة الحضرية مثل ويرث؛ حيث يؤكد جنز أن وجهة نظر ويرث توضح التحيز اللاحضري وتعكس مدى كره الريف الأمريكي للمدن، ويؤكد جنز أن ويرث يتجاهل كثير من سكان المدن الذين لديهم إحساس قوي بالمجتمع المحلي، ويكشف جنز عن خمسة نماذج من المقيمين في المدن، ويؤكد جنز على أن النموذجين الأخيرين من هذه النماذج الخمسة تعاني من العزلة الاجتماعية وتوضح الحياة الحضرية كما وصفها ويرث في حين أن الثلاثة نماذج الأولى تعيش في المدينة بسببالمنافع التي تقدمها المدينة من ناحية وبسبب الدعم الذي يحصلون عليه من الثقافة الفرعية من ناحية أخرى.

ويكد جنز على أن الطبقة الاجتماعية والعمر لهما تأثير أكبر على أسباب الحياة الحضرية من المعيشة في المدينة نفسها.

والنماذج الخمسة التي عرضها جنز هي كما يلي^(١):

١- المشهورين Cosmopoutes

ويشمل هذا النموذج الكتاب والفنانين والمفكرين والمطربين والمهنيين، ويفضل هؤلاء الإقامة بالمدن بسبب أنشطتهم الثقافية.

٢- العزاب Childless People:

وهؤلاء يختارون الحياة في المدينة لقربها من فرص العمل وبسبب الحياة الاجتماعية.

٣- القرويون العريون Ethnic Villagers:

وهؤلاء يرغبون المعيشة في مجتمعات محلية تتضمن نفس العرق والتي تساعدهم على المحافظة على قلوبهم الثقافية والقريبة.

٤- المحرومون Deprived people:

ومن أمثاله هؤلاء الذين يعيشون في المدن العجوة Disabilities والفقراء والأقليات.

٥- المخادعون Irraped people:

وهؤلاء هم الذين يقعون في أدنى مستوى اجتماعي واقتصادي، أو الذين يتقاعدون وغير قادرين على ترك جيرانهم الانحلاليين، كما أنهم يعيشون على دخول ثابتة.

٦- كلود فيشر Claude Fisher:

لقد قام فيشر بتطوير نظرية عن الحضرية تلك التي أصبحت تعرف بالثقافة

١- Herbwert J. Cans: Urbanism and Sub urbanism As a way of life A Revaluation of definifions in Guman and popenpme, Neighbrhook, city and Metroplis, N.Y. Random House ١٩٧٠.

الفرعية Subculture^(١)، ولقد اتفق فيشر مع ويرث في أن المدن تؤدي إلى خلق تأثيرات اجتماعية وسيكولوجية ضخمة، ويؤكد فيشر أن هذه التأثيرات ليست نتيجة لوجود جماعات اجتماعية دنيا، ولكن بدلا من ذلك فهي نتيجة لخلق جماعات جديدة في المدن الناشئة.

وطبقا لوجهة نظر فيشر فإن المدن الجديدة تعد بمثابة مولد للثقافات الفرعية المتباينة (كالأمريكيين الصينيين - طلاب الكليات، مروجوا لثقافات المخدرات، جماعات الجنسية المثلية، الفنانين، العصابات الجانحة).

ويعتقد فيشر أن الناس في المدن لديهم حياة ذات معنى التي تعد بصورة جزئية ناتجة عن العضوية والمشاركة في الثقافات الفرعية، والمدن تكون أكثر احتمالا لأن تجذب قدر هائل من الثقافات الفرعية.

كما أن عملية الثقافة الفرعية تعد حقيقة ليس فقط بالنسبة لجماعات الأقلية العنصرية والعرقية ولكن أيضا بسبب التباين الهائل للثقافات الفرعية الأخرى (الأكاديميين، الإداريين، متلقى الرعاية، المجرمين، الأطباء، ميرمجي الكمبيوتر، أطباء الأسنان، الصيادلة... الخ)، بعض الثقافات الفرعية تطور قيم وتقوم بأعمال من شأنها تهدم وتدمر المجتمع المحلي.

١-Claude Fisher: The Urban Experience, N.Y.: Harcourt Brace Jovanouich, ١٩٧٠.

المشكلات التي تواجه المدن الكبرى

تواجه المدن الكبرى العديد من المشكلات التي تتسم بالخطورة والانتشار وتبدو لنا وكأنها مشكلات غير قابلة للحل ومنها مشكلة الأحياء المتخلفة، ومشكلة نقص التخطيط والتنسيق، ومشكلة الجريمة، ومشكلة الإسكان، ومشكلة السكان، ومشكلة النقل والمواصلات، ومشكلة البطالة ومشكلة التحيز ضد الحضرية وغيرها من المشاكل التي سوف نعرض لبعض هذه المشكلات:

١ - مشكلة نقص التخطيط والتنسيق:

انتشر النمو والبناء في المدن بشكل انفجاري، ومعظم هذا النمو كان يتم بشكل غير مخطط، فالمناطق الرئيسية لكثير من المدن تم بناؤها بشوارع ضيقة، وعديد من المنازل المتلاصقة مع بعضها البعض، فحينما يتم إقامة حي حول المدن العاصمة؛ فإن الأمر يتطلب ضرورة توفير الخدمات لمثل هذه المناطق التي تم إقامتها في غفلة من المسؤولين كالمدارس والمستشفيات والمواصلات والمياه والكهرباء... الخ، وان عدم التنسيق في بناء مثل هذه المناطق قد يؤدي إلى عجز الحكومة عن تهيئة الخدمات اللازمة لمثل هذه المناطق.

وكنتيجة النمو غير المخطط بصورة كبيرة فإن مناطق العاصمة اليوم تتجه نحو الارتباك والتشويش في شبكات عمل الحكومات المحلية المتدهورة وتداخل مناطق الخدمة، مثل هذه المناطق لديها عشرات من رؤساء المطافئ ورؤساء الشرطة ومديري المدارس ورؤساء الأحياء، هذا التداخل والتكرار الخدمات ليست فقط مكلف ولكنه أيضاً غير فعال ويخلق مشكلات التنسيق.

٢ - مشكلة الإسكان: Housing Problem

أن معظم الفقراء في الولايات المتحدة يعيشون في المدن، كما أن معظم الفقراء يقيمون في مساكن متهاكلة ودون المستوى، هذه المساكن ترفضها الأسر ذات الدخل

المرتفع والعديد منهم تحرك إلى الضواحي، والمساكن المتهالكة في المدن الرئيسية المأهولة بالسكان بشكل ضخم حيث يقيم فيها الفقراء وكبار السن وأعضاء الجماعات الأقلية وخاصة الأمريكيين الأفريقيين والإسبان والغالبية منهم غير قادرين على إيجاد البديل، وتشمل مشكلات السكان عدم توفر التدفئة الكافية في الشتاء، وأدوات إضاءة غير صالحة، دورات مياه غير صالحة، الصراخير، حجرات مزدحمة وشبابيك محطمة.

وفي احد الدراسات الحديثة وجدت أن واحد من ثلاثة من كل الأمريكيين حوالي ٧٨ مليون نسمة يقبع في دائرة الفقر، هذه الوسائل التي تجعلهم مجبرين أو ملزمين لأن يدفعوا أكثر من جل السكن كما لا يوجد مال كافٍ للطعام وللرعاية الصحية والملابس، ويقدر العلماء الاجتماعيون بأن هؤلاء المواطنين يدفعون حوالي ٢٥% من دخلهم في الإسكان الأمر الذي يجعلهم لا يجدون المال الكافي لإشباع احتياجاتهم الأساسية^(١)، وهم فقراء ودخولهم ضئيلة الأمر الذي ينتج عنه أن هناك عدد كبير من السكان ليس لهم مأوى.

أن عديد من المدن في الستينات والسبعينات وإلى الثمانينات وبداية التسعينات حاولت أن تحل مشكلة الإسكان المتدهور بواسطة مشروعات التجديد الحضري، وكانت تأمل في أن مشروعات التجديد الحضري سوف تساعد المقيمين ذوو الدخل المنخفضة، ولقد أثارت الوكالات الحكومية مشكلة انحلال مناطق المدين الرئيسية وقامت بنقل السكان المقيمين إلى أماكن أخرى، ولقد باعوا الأراضي إلى مؤسسات خاصة لكي تقوم ببناء شقق لأصحاب الدخل المنخفضة والمتوسطة، ولكن بسبب أن هؤلاء أصحاب المؤسسات الخاصة لا يرجون بناء مساكن رخيصة فإنهم يطمحون عموماً لتحقيق منافع أكبر في بناء المساكن الإدارية، الشقق الترفيهية "سوبر لوكس" والمصانع، كما أن المقيمين السابقين غير قادرين على شراء هذه المساكن فإنهم يتحركون إلى المناطق

١- Kornblum and Juien, Social Problems, ٧th ed., p. ٤٣٧.

المتدهورة بالمدينة، وفي عملية انتقال السكان إلى مكان جديد فإن إحساسهم بالمجتمع المحلي يضعف بصورة خطيرة، أنهم غالباً ما يشعرون بأنهم كانوا مجرد رهائن وضحايا لنظام البلديات، الكثير منهم يستأصل من الأصدقاء والعائلة والمدارس وتقوم الكنائس بعملية التبنى السيوكولوجي باعتباره جزء من عالمهم، الكثير من الذين تم استئصالهم يتحركون إلى مناطق مجاورة قريبة التي تكون مناسبة أو قادرة على تدمير مشروعات التجديد الحضري المستقبلية.

ولقد استجابت الحكومة الفدرالية في بعض المدن ببناء وحدات سكنية عامة عادة ما تكون شقق مجمعة، ولقد كانت السياسية الفدرالية قد جعلت المساكن العامة قاصرة على افقر الفقراء، وغالباً ما ينجح الفقير العامل في مواجهة الخطوط المؤهلة للمعيشة في تلك المشروعات الإسكانية، وأن كثير من المشروعات الإسكانية العامة سرعان ما تحول إلى أحياء فقيرة Slums يقيم بها الناس الذين هم في حاجة إلى الرعاية، والأسر ذات العائل الواحد والناس العجزة، ولقد وصف شولدن المشروعات السكنية باعتبارها تحتوى على تركيبات ضخمة من الناس الذين يحملون عدد كبير من المشكلات وقدر أقل من النجاح^(١).

ومن المحتمل أن الشيء الوحيد الذي يعد أسوأ من المساكن دون المستوى هو عدم وجود مسكن، هذا إذا ما علمنا أن هناك أعداداً كبيرة من الناس لا مأوى لهم "المشردين" يتجولون في الأماكن العامة وينامون في الشوارع والمواقف والطرق الفرعية، وتعد الملاجئ المقتة بمثابة أمر محزن وغير ملائم لمقابلة احتياجاتهم، ففي الشتاء يعيش بعض المشردين في صناديق كرتونية في الشوارع، وأن الجهود المبذولة من أجل بناء

١- H. M. Choldin: Social life and the physical environment, in Handbook of contemporary urban life, ed. D, Street (San Francisco, C.A. L Josey-Bass), ١٩٧٣, p. ٣١٢.

ملاجئ أكثر غالبا ما تمثل عقبة التي تبدو في مظاهر احتجاج تنظيمات المواطنين الذين لا يريدونهم في مجتمعاتهم، وتاريخيا فإن البرامج الحكومية لتحسين عملية الإسكان كان يستفيد منها أصحاب الدخل المتوسطة والعليا، وأن معظم مساعدات الإسكان الفدرالي كانت تذهب بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى المقاولين والطبقات المتوسطة والعليا.

٢- الجريمة:

تعد الجريمة بصفة أساسية مشكلة حضرية؛ ففي المناطق الريفية وبسبب أن كل فرد يميل إلى أن يعرف كل فرد آخر حتى أعماله فإن الأنشطة غير الشرعية يكون من الصعب كثيرا إخفاؤها، فحينما يتم اعتقال المدنيين الريفيين فانهم يواجهون دائما بالرفض والنبذ، وفي ضوء العرض السابق فإن عملية التحضر تضعف من الكوابح والضوابط الاجتماعية ضد الجريمة المرتكبة، وتوضح الإحصائيات أن المدن الكبرى بها أربعة أضعاف من جرائم العنف التي ترتكب بالمقارنة بالضواحي الحضرية وانها تبلغ ستة أضعاف بالمقارنة بالمناطق الريفية، كما أن جرائم الملكية تنتشر بصورة كبيرة في المدن الكبرى^(١)، وليس ما هنا في أن الخوف من أن يصبح المرء ضحية الجريمة يكون أكثر عمومية في المدن، إن كثيرا من المقيمين في المدن ينظمون أنشطتهم اليومية لكي يقللوا من فرص كونهم ضحايا للعنف Conned – mugged مسروقين بالإكراه Robbed أو يتعرضون للاغتصاب.

ولقد كشفت إدى الدراسات أن نصف السكان المقيمين بالمدن الكبرى يخافون من التجول خارج المنزل في الليل بالمقارنة في أن ٢٠% من المقيمين بالضواحي الحضرية يخافون من ذلك^(٢).

١- Kornblum Julian: Social Problems, ٧th ed., p. ٤٢٠.

٢- James W., Coleman Ponal R. Cressey: Social problems, ٥th ed., (N.Y.: Harper Collins, ١٩٩٣), p. ٣٩٨-٣٩٩.

ولقد أجريت احدى الدراسات فى عام ١٩٩٠ أوضحت أن واحدا تقريبا من أربعة شباب من الرجال الأمريكيين الأفريقيين يكون فى الحجز أو السجن أو تحت المراقبة أو مطلق سراحه بشروط.

وفى المقابل نجد أن الدراسة كشفت عن أن واحدا من عشرة من الشباب الإسبانيين وأن واحدا من كل ستة عشر شابا من البيض الرجال يكونون تحت إشراف نظام العدالة الجنائية، ولقد أجريت الدراسة على شباب يتراوح عمره من عشرين إلى تسع وعشرين عاما، ومن بين النتائج المدهشة الأخرى أن عدد الشباب الذكور الأمريكيين من أصل أفريقي والذين وقعوا فى جرائم ويشملهم نظام العدالة الجنائية كان اكبر من مجموع عدد الذكور الأمريكيين من أصل أفريقي المسجلين فى كليات.

ولقد تتبع الباحثون النسبة العالية من الشباب الأمريكي ذو الأصل الأفريقي فى نظام العدالة الجنائية فى خلال الثلاثين عاما الأخيرة من خلال هؤلاء الأحداث الموجودين فى المدن الباطنية والذين يرفضون فرص الالتحاق بالتعليم أو العمل فهم فقط يعقون فى دائرة اهتمام نظام العدالة الجنائية^(١).

٥- النقل: Transportations

أن ٦٥% من أرض الولايات المتحدة الأمريكية مكدسة بالسيارات وانه فى حالة وجود فراغ فإنه يكو الشوارع والطرق الرئيسية والأماكن المخصصة للمواقف والجراجات ومحطات البنزين وورش الإصلاح والاستخدامات الأخرى، والأمريكيون بصفة عامة مسحورين بالسيارات حيث يسعى المالكون غالبا إلى نوع السيارة التي تعبر جيدا عن شخصياتهم، وانه ليس نادرا بالنسبة لسكان الضواحي الحضرية أن يقودوا سياراتهم من خمسين إلى ستين ميلا فى أثناء ذهابهم وعودتهم من وإلى العمل.

١- Charles Zastrow: Social Problems. ٤th ed., Chicago, Nelson-Hall Inc., ١٩٩٧, p. ٤٨٣.

كما أن تدفق السيارات يخلق مشكلات هائلة بالنسبة للمدن الرئيسية وتعد مانهاتن Manhattan مركز تجاري في نيويورك تضج بزحمة المواصلات طوال ساعات النهار، ومشكلات مماثلة في أثناء ساعات الذروة في عديد من المدن الأخرى، فالسيارات تعد المصدر الرئيسي لتلوث الهواء وتساهم بشكل أساسي في مشكلات الضباب والدخان كما أن المواقف المزدوجة تعد مشكلة أخرى في كثير من المدن.

كما أن السائقين يقضون وقتا أكثر في البحث عن مكان للوقوف أكثر من الوقت الذي يقضونه في القيادة إلى المكان المقصود، كما أن مشروعات إصلاح وترميم الشوارع تعد بمثابة احبطا عام لسائقة المدينة، كما أن معدلات حوادث السيارات لدى سائقي المدينة اكبر بكثير مما هو لدى سائقي الريف، فلقد أنشئت الطرق السريعة في المناطق الفقيرة حيث انخفاض تكلفة الأرض ورفضها، فلقد أتاح إقامة مثل هذه الطرق فرصة الانتقال من منطقة إلى أخرى، وتعد السيارة أكثر راحة ولكنها ذات فاعلية أقل من وسائل النقل، فالسيارة تنقل عدد أقل من الركاب في حين أن الأتوبيس ينقل عدد اكبرن وكذلك الترام يفوق الأتوبيس ومترو الأنفاق ففي الساعة الواحدة تنقل السيارات الخاصة في احد الشوارع حوالي ٢٤٠٠ شخص في حين تنقل الأتوبيسات حوالي تسعة آلاف شخص أما الترام فإنه ينقل حوالي أربعين الف شخص، أما الترام السريع ينقل حوالي ستين الف شخص.

ومن المتوقع أن الشوارع الرئيسية تجلب المتسوقين من الضواحي الحضرية إلى المدن الرئيسية^(١)، وعلى الرغم من أن المقيمين بالمدن يعانون من الازدحام وتلوث الهواء الناتج عن السيارات فإن كثيرا منهم لا يملك رأس المال الكافي لشراء سيارة أو صيانة سياراتهم، ومن هنا يجبر هؤلاء السكان على استخدام وسائل النقل العامة، الأتوبيسات ومترو الأنفاق وانهم غالبا ما يصابون بالإحباط نتيجة التأخير في استخدام وسائل النقل

١- Ibid: p.٤٨٤.

العامة، فنظم النقل العامة الرخيصة تعد أيضاً بمثابة عقبات أمام فرص التعليم والعمالة بالنسبة للمقيمين في المدن والذين لا يستطيعون الحصول على سيارة، ويعاني الموظفون الرسميين من عدم جاذبية وسائل النقل العامة، الأمر الذي أدى إلى تزايد السيارات الخاصة ونقصان وسائل النقل العامة حيث أن عديد من وسائل النقل العامة متهالكة ومتهورة.

والسبب الواحد هو أن المناطق الحضرية أصبحت الآن لا مركزية، ولقد قامت الضواحي الحضرية بتطوير مراكز تجارية خاصة بمراكز الشراء ومناطق الأعمال، ولقد تطورت أيضاً مراكز الشراء ومناطق الأعمال في مختلف المناطق بدلا من تركيزها في قلب المدينة، ونتيجة ذلك فإن الناس يسافرون بصورة أكثر عشوائية في المدن.

٦- التحيز ضد الحضرية:

يوجد دائما في الولايات المتحدة الأمريكية شعور وإحساس ضد الحضرية، حيث يوضح الأدب الأمريكي غالبا مدى سحر وفتنة فضيلة الاكتفاء الذاتي للفلاح، والتي وصفت باعتبارها أمر كائن في جنة عدن أو الفردوس الزراعي، حيث الحياة السعيدة والاسترخاء، والحياة غير المعقدة، الحقيقة هي أن الزراعة أو الفلاحة مهنة شاقة والعمل بها غالبا ما يكون طوال الأسبوع، وحاليا بدأ كثير من الفلاحين يعلنون إفلاسهم، وأن أقل من ٣% من قوة العمل في أمريكا يعملون بالزراعة^(١).

وتوصف المدنية دائما باعتبارها أمر متعارض ومتناقض مع العلاقة الطبيعية بين الإنسان والبيئة^(٢)، ولقد قام جالب بإلقاء سؤال مشابه "إذا كنت تستطيع العيش في أي مكان أنت تريده، فهل أنت تفضل مدينة أم ضاحية حضرية أم بلدة صغيرة أم مزرعة، ولقد احتلت المدينة ادنى نسبة حيث بلغت ١٣% في حين أن المزرعة بلغت

١- Coleman and Cressey: Social Problems, pp. ٣٩٦-٣٩٨.

٢- Ficher: Urban Experience., p ٢١.

٢٣% ثم الضاحية الحضرية بلغت ٣١% أما البلدة الصغيرة بلغت ٣٢%".

أن المعيشة فى الريف تهيئ الخلو من المشاكل، الهدوء، صور الفضيلة، ففي الريف يفكر الناس فى انهم قادرون على المعيشة فى انسجام وتوافق مع الطبيعة، أما المدينة فإن لها صور الإجهاد والضغط وأن بها معدلات عالية للجريمة والمشكلات الأخرى، ويمكن النظر إلى المدينة باعتبارها مولده للعلاقات اللاشخصية، المنافسة الحادة، الوحدة والعزلة، اللامبالاة، الاتجاهات غير القاطعة نحو الآخرين، وعلى الرغم من الصورة التي عليها المدينة فإن معظم الأمريكيين يعيشون فى المناطق الحضرية الكبيرة أو بالقرب منها وذلك بسبب فرص العمل والتقدم الثقافية.

٧- مشكلة ضبط السكان: Population Control

إن الصين - يجبر مواطنيها على أن يكون لدى كل أسرة طفل واحد فقط^(١)، وأن النساء اللاتي تحبلن بعد الطفل الأول تنصح بضرورة أن تسعى للإجهاض، وهناك حوافز مالية كبيرة للأسر التي لديها طفل واحد مثل زيادة الضرائب المفروضة على الأسر التي لديها أكثر من طفل.

أما فى الهند فمنذ وقت قصير فى السبعينات من القرن العشرين كان لديها سياسة التعقيم الإجباري Involuntary sterilization لأى ذكر وأنثى فى سن الإنجاب ويكون آباء بيولوجيون لثلاثة أطفال أو أكثر^(٢).

ن الهدف من مثل هذه السياسات هو الحد من حجم السكان وبواسطة النقصان البطيء للسكان فإن مصادر كثيرة سوف تصبح متاحة لتهيئة مستوى افضل للحياة.

كما أن استراتيجية مواجهة المشكلات فى المدن الكبرى تكمن فى تنظيم النسل أو

١- Fiecher: Urban experience, p٢١.

٢- LynncoLandman: Birth cerntsolin India: The carrot and the Rod Family Planning Perspectives, ٩thMay, June, ١٩٧٧., p ١٩٢.

ضبط السكان، فالمقيمون في المدن الكبرى يستطيعون أن يتشجعوا لكي يكون لديهم طفل واحد، فبرامج التربية الجنسية في المدارس يمكن أن تكون قد توسعت في تلقين وتعليم مسئولية التربية الجنسية، فالمعلومات المتعلقة بحرية تحديد النسل والأدوات يمكن أن تقدمها الحكومة، فمن الضروري أن يتم فرض ضرائب كبيرة على الأسر التي لديها أكثر من طفل واحد أو اثنين، وإذ ما فشل هذا البرنامج في تقليل حجم السكان فإن التعقيم الإجباري بعد ولادة الطفل الثالث يعد أمرًا هامًا جدًا.

أن السياسة البديلة لضبط أو تحديد السكان تركز على المستفيدين من خدمات مساعدة العائلات المعتمدة على الأطفال التي تقدمها مؤسسة مساعدة العائلات ذوات الأطفال والتي تتطلب شرطًا لكي تستمر بفاعلية في برامج ضبط المواليد، حيث أن برنامج ضبط المواليد يعد شيئًا آخر مختلف عن حبوب منع الحمل التي تنسى كثير من النساء أن تتناولها، أحد الأساليب المانعة للحمل هو أسلوب الغرس الذي أثبتت فاعليته في الولايات المتحدة الأمريكية في التسعينات من القرن العشرين، هذا الغرس يتكون من كبسولات مطاطية من السيلكون الصغير تحتوي على مادة لها فاعلية في منع الحمل، هذا الغرس يتم إدخاله بعملية جراحية، وهناك عدة انتقادات لسياسات ضبط السكان منها أن هناك قيم حادة في ريفنا التي مؤداها الإيمان بأن لكل شخص الحق في أن يكون والدا طبيعيًا لأي عدد من الأطفال، وهناك بعض المؤسسات الدينية كما هو الحال في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التي تعارض تحديد النسل، فالتعقيم الإجباري ينتهك حرية الاختيار، كما أن محاولات فرض عملية تحديد حجم العائلات ينتهك الحقوق المدنية المؤسسة في مجتمعنا.

الفصل السادس

العنف ضد المرأة .

ومن المشكلات الاجتماعية التي تعاني منها المرأة داخل المجتمع المصري سواء كان ريف أم حضر، نجد العنف الممارس ضد المرأة بجميع أشكاله وصورة.

العنف ضد المرأة(٥):-

يُعدُّ العنف من الموضوعات التي لها جذور عميقة منذ القدم بدءاً من قتل قابيل أخاه هابيل، وما زالت سلسلة العنف منذ ذلك الوقت وحتى وقتنا الحاضر في تزايد واستمرار، إلا أن دائرة العنف توسعت وشملت أفراداً أكثر هشاشة وتهميشاً في المجتمع ألا وهي المرأة والفتاة. وبدأ الاهتمام العالمي بالمرأة بعدما تزايدت حدة العنف ضدها من خلال الدور الذي تقوم به الأمم المتحدة، حيث أصدرت الجمعية العامة قراراً عام ١٩٩٠ خاصة الفقرة ٢٣ والتي تنص على "أن العنف ضد المرأة سواء في الأسرة أو في المجتمع ظاهرة منتشرة تتخطى حدود الدخل والطبقة والثقافة ويجب أن يقابل بخطوات عاجلة وفعالة لمنع حدوثه"، كما أوضحت الجمعية العامة أن تنفيذ اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة بشكل فعال يمكن أن يسهم في القضاء على العنف ضد المرأة، وأن إعلان القضاء على العنف ضد المرأة من شأنه أن يعزز هذه العملية"^(١). ثم جاء الإعلان العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة في ٢٠ ديسمبر ١٩٩٣ في الجلسة رقم ٨٥ والذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة^(٢). وتوالت بعد ذلك الحملات العالمية من قبل الأمين العام للأمم المتحدة "بان كي مون" والذي أعلن حملته متخذاً لها شعار "اتحدوا لإنهاء العنف ضد المرأة".

١- المقصود بالعنف:-

(٥) قامت بإعداد هذا الفصل د. هند محمد المأمون.

(١) الإعلان العالمي بشأن القضاء على العنف ضد المرأة - الجمعية العامة - الجلسة العامة ٨٥،

إدارة شؤون الإعلام للأمم المتحدة، نيويورك، ٢٠ ديسمبر ١٩٩٣، ص ١ (في):

www.awcsw.org/Biles/kadaonoBdedmara.pdf. ١-١-٢٠١٣.

(٢) المرجع السابق.

يعرف العنف Violence فى اللغة العربية بأنه "الخرق بالأمر وقلة الرفق به وهو ضد الرفق"، واعتتف الأمر أخذه بعنف أو أتاه ولم يكن له به علم، وعنفه: لامة بعنف وشدة"، وقيل: هو "التشديد فى التوصل إلى المطلوب"، و"التعنيف التعبير واللوم والتوبيخ والتفريع" (١).

وعند النظر إلى الكلمة باللغة الانجليزية Violence فهى مشتقة من الكلمة اللاتينية Violentia، وتعني الغلظة والقوة^(٢). ويعرف قاموس أكسفورد العنف بأنه السلوك الذي ينطوي على القوة البدنية ويهدف إلى إيذاء أو ضرر أو قتل شخص^(٣). كما يعرفه قاموس Collins بأنه "إلحاق ضرر بدني على الجسم البشرى، من خلال قوة بدنية أخرى أو أسلحة"^(٤).

ويختلف تعريف العنف وفقاً لاختلاف تخصصات الباحثين؛ فالبعض يتناوله من الجانب القانوني مرتكزين على كل ما يخالف القانون، والبعض الآخر يتناوله من الجانب الاقتصادي والعلاقة بين ما هو متوقع وبين ما هو واقع بالفعل، فى حين أن البعض الآخر يركز على الجوانب البيولوجية من خلال الجينات التي يكون لها تأثير على سلوك الأفراد، وأخيراً الجانب النفسي والاجتماعي مرتكزين على الاستبداد والتهميش والظلم.

العنف من الناحية القانونية: يعرف بأنه "الاعتداء البدني أو النفسي الواقع على

(١) محمد عبد السلام العرود: العنف الأسري - دوافعه وآثاره وعلاجه من منظور تربيوي إسلامي، الطبعة الأولى، دار الفاروق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨، ص ٢٠.

(٢) منال محمد عباس: العنف الأسري - رؤية سوسيوبيولوجية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١١، ص ١٩.

(٣) <http://www.oxforddictionaries.com/definition/english/violence>. ١-٥-٢٠١٤.

(٤) D. Jary and J. Jary :The Harper Collins Dictionary of Sociology , Harper Collins publishers,New York, ١٩٩١, p ٥٤٥.

الأشخاص ويحدث تأثيراً أو ضرراً عادياً أو معنوياً مخالفاً للقانون ويعاقب عليه القانون" (١).

العنف من الناحية الاقتصادية: هو "محصلة الفجوة غير المحتملة بين رضا الناس لحاجتهم المتوقعة وبين رضاهم لحاجتهم الفعلية أو بمعنى آخر هو الفرق بين الواقع والمتوقع من الناحية الاقتصادية"،

وأوضحت نادية حلیم في بحث لها بعنوان "المرأة والعنف الاقتصادي" أن مفهوم العنف الاقتصادي يتجسد في إطار المعاناة من الفقر والحرمان من فرص متساوية للحصول على العمل والدخل وتحسين مستوى المعيشة" (٢).

العنف من الناحية البيولوجية يرجع إلى الجينات المسؤولة عن تحديد سلوك الفرد. فالجينات تؤثر في السلوك، ولذا فالجينات السيئة تسبب السلوك السيئ، وبالتالي فالحتمية البيولوجية تفسر الانحراف الاجتماعي وبخاصة العنف، كما تحدد الحتمية البيولوجية مكان الخطأ في أمخاخ الأفراد، فينظر إلى السلوك المنحرف على أنه نتيجة انحراف عضو السلوك، والعلاج الملائم لذلك هو استخدام الأقراص (٣). ولذا فقد أعلن باحثون في نيويورك عام ١٩٩٨ بأنهم توصلوا إلى جينات لها علاقة بالعنف والعدوانية والإجرام، ويعرف العنف البيولوجي بأنه "وجود إصابات في الدماغ أو إصابات أثناء الولادة لدى

(١) ربا أحمد الدباس: العنف ضد المرأة، الطبعة الأولى، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، ٢٠٠٩، ص ١١.

(٢) نادية حلیم: المرأة والعنف الاقتصادي (محرراً) نجوى الفوال، ندوة المرأة المصرية والتحديات المجتمعية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨.

(٣) ستيفن روز وآخرين: علم الأحياء والأيدولوجيا والطبيعة البشرية، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (١٤٨)، إبريل ١٩٩٠، ص ٣٣-٣٤.

المرضى الذين عانوا من نوبات العنف الانفجاري الهجومي أو التدميري"^(١).

العنف من الجانب النفسي والاجتماعي: هو وسيلة لإلغاء الآخر وإلغاء دوره أو إلغاءه استنادا إلى ضروب الاستغلال والظلم والعدوان والحرمان والطغيان والفقر والتهميش وعدم المساواة"^(٢).

ويعرف العنف وفقاً لآدم كوبر Adam Kuper فى موسوعة العلوم الاجتماعية بأنه "مظهر من مظاهر التدمير المادي والنفسي والانفعالي والجنسي وهو يتضمن استخدام الأفراد للقوة والاعتداء، وذلك من أجل تحقيق أهداف معينة أو تحقيق مصالحهم الخاصة"^(٣).

ويقصد محمد عاطف غيث بالعنف بأنه "تعبير صارم عن القوى التي تمارس لإجبار فرد أو جماعة على القيام بعمل أو أعمال محددة يريد لها فرد أو جماعة أخرى ويعبر العنف عن القوة الظاهرة حين تتخذ أسلوباً فيزيقياً (الضرب - الحبس - القتل) أو يأخذ صورة الضغط الاجتماعي وتعتمد مشروعيتها على اعتراف المجتمع به"^(٤).

ونستخلص من مختلف التعريفات تنوعها واختلافها باختلاف تخصصات الباحثين، ويمكن وضع تعريف محدد للعنف بأنه "كل فعل يؤدي إلى إحداث ضرر جسدي أو نفسي يقع على الآخر يستغل فيه الفاعل (الجاني) ضعف الضحية وسيطرته عليها وينتج عنه أذى جسدي أو نفسي".

تعريف العنف ضد المرأة:-

(١) محمود سعيد إبراهيم الخولي: العنف فى مواقف الحياة اليومية نطاقات التفاعل، مرجع سابق، ص ٤١

(٢) المرجع السابق، ص ٤٠.

(٣) منال محمد عباس: العنف الأسري رؤية سوسيولوجية، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٤) محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٩، ص ١٩٢.

يُعدُّ العنف ضد المرأة مظهرًا لعلاقات قوى غير متكافئة من الناحية التاريخية بين الرجل والمرأة، والتي أدت إلى السيطرة عليها والتمييز ضدها من جانب الرجل ومنع النهوض الكامل للمرأة، وهذا وفقًا لقرار اللجنة العامة لإعلان الأمم المتحدة للقضاء على العنف ضد المرأة ١٩٩٣، وعلى الرغم من أن معظم المجتمعات تحظر العنف ضد المرأة إلا أن الواقع غالبًا ما يتساهل مما يحدث من انتهاكات ضد حقوق الإنسان للمرأة تحت ستار الممارسات الثقافية والمعايير، أو من خلال سوء تفسير التعاليم الدينية^(١).

ويذهب السيد عوض في تعريفه للعنف ضد المرأة من خلال دراسته بأن العنف ضد المرأة "هو كل سلوك فردي أو اجتماعي أو ثقافي أو مؤسسي يحط من قدر المرأة ويعمق تبعيتها للرجل ويحرمها من حقوقها المقررة لها بقوة التشريعات السماوية والوضعية"^(٢).

ويوضح هذا التعريف تنوع أشكال العنف الممارس ضد المرأة من حيث كونه أسريًا أو مجتمعيًا أو مؤسسيًا، كما يؤكد تبعية المرأة للرجل بسبب القوى غير المتكافئة بينهما، ويضيف البعد التشريعي سواء كان سماويًا أو وضعيًا والذي يكفل لها حقوقًا متساوية يغفلها من يمارس العنف ضدها.

وكذلك يعرف بأنه سلوك من قبل الرجل يسيطر فيه على ضحيته، وينتج عنه ضرر بدني أو جنسي أو نفسي، أو حرمان اقتصادي، أو أى سلوك يترك امرأة تعيش في حالة

(١) Domestic Violence Against Women and Girls, United Nation Children's Fund, Innocent Digest No(٦)June,٢٠٠٠,p٢. (on) www.unicef-irc.org/publications/pdf/digest٦e. ١-١-٢٠١٣.

(٢) السيد عوض على عيسى: العنف ضد المرأة - تحليل مضمون لحوادث العنف الأسري ضد المرأة في الصحف المصرية، مؤتمر تنمية المرأة العربية-الإشكاليات وآفاق المستقبل، جامعة جنوب الوادي، مركز دراسات الجنوب والمركز العربي للتعليم والتنمية، قنا-الأقصر ٥-٧ فبراير ٢٠٠١.

من الخوف (١).

ويشير هذا التعريف إلى أن نوع الجنس هو المسئول عن حدوث العنف. كما يوضح التعريف أن العنف ضد المرأة هو من الآليات الاجتماعية الحاسمة التي تفرض على المرأة وضع التبعية للرجل، ويشير إلى تنوع الضرر الذي يقع على المرأة ليشمل الضرر البدني والنفسي، كما يرى الإعلان أن العنف ضد المرأة يشمل ثلاث مجالات هي: "العنف الذي يحدث داخل نطاق الأسرة، والعنف الذي يرتكبه المجتمع عامة، وآخر الذي تتغاضى عنه الدولة" (٢).

وهناك العديد من أشكال العنف ضد المرأة منها ما يلي:

٣ - أشكال العنف ضد المرأة:-

تتعدد أشكال العنف ضد المرأة وفقاً لإعلان الأمم المتحدة للقضاء على العنف ضد المرأة والتي حددها كما يلي: العنف المنزلي ويشمل العنف الذي يرتكبه أفراد الأسرة المقربون، وغيرهم ويتجلى ذلك من خلال: الإساءة الجسدية مثل الصفع والضرب والطعن والخنق والحرق والركل والتهديد بالسلاح والقتل، كما يشتمل أيضاً على التقاليد المؤذية للمرأة مثل تشويه الأعضاء التناسلية للإناث، والاعتداء الجنسي مثل الجنس بالإكراه من خلال التهديدات أو التخويف أو استخدام القوة البدنية، والإيذاء النفسي الذي يشمل السلوك الذي يهدف إلى التخويف والاضطهاد ويتخذ شكل تهديدات وعدوانٍ لفظيٍّ والإذلال المستمر، والاستغلال الاقتصادي ويشمل العديد من الأفعال مثل الحرمان من المال ورفض المساهمة مالياً، والحرمان من الغذاء والاحتياجات الأساسية، التحيز ضد

(١) Lori L. Heise and others :Violence Against Women, The Hidden Health Burden, World Bank Discussion Papers, Washington, United States of America, ١٩٩٤, p ٧٤.

(٢) Domestic Violence Against Women and Girls, op-cit, p٢.

المرأة الذي ينطوي على التمييز في الحصول على التغذية والتعليم والوصول إلى الرعاية الصحية وذلك يمثل انتهاكاً لحقوق المرأة^(١).

إذن فهذه أشكال العنف ضد المرأة والتي يمكن اختصارها كما يلي: الإساءة الجسدية، الاعتداء الجنسي، والإيذاء النفسي، وأخيراً الاستغلال الاقتصادي، ويندرج تحت كل شكل من هذه الأشكال العديد من الأمثلة والتي تناولتها دراسات ميدانية حاولت توضيح العنف الممارس ضد المرأة بأشكاله المتنوعة وعكست الإحصائيات التناقض بين الواقع الفعلي لهذه الظاهرة وبين ما يتم الإفصاح عنه من قبل السيدات حول ما يتعرضن له من عنف من قبل الآخرين سواء داخل الأسرة أم خارجها . وكثيراً من الحالات لا تسجل لأن المجتمع يُعدُّ العنف الموجه ضد المرأة جزءاً من تربيته، وإذا أرادت الزوجة المعتدى عليها بالضرب أن تشتكي فينظر إليها رجال الأمن باستهجان وينصحونها "بالستر على زوجها"، وهكذا تصبح الشتائم والإهانات اللفظية والضرب، وإكراه الزوجة على إقامة العلاقات الزوجية بغير رضاها (والتي تعدها كثير من القوانين الغربية اغتصاباً ويعاقب عليها) حالات شائعة جداً وتزداد باستمرار وتحدث في مختلف الطبقات الاجتماعية وحتى بين الحاصلين على أعلى المستويات التعليمية^(٢).

وهناك العديد من أشكال العنف المختلفة التي تواجهها المرأة في العديد من دول العالم. ولذا فالعنف المنزلي أكثر أشكال الإساءة إلى المرأة في العالم بأسره دون استثناء إقليمي، ففي بيرو تمثل جرائم ضرب الزوجات من الأزواج أكثر من نصف الجرائم المبلغ عنها، وتُعدُّ سوء معاملة المرأة في الكثير من أجزاء أفريقيا عرفاً مقبولاً، ولا يتم الإبلاغ عن غالبية الحالات، كما تتعرض الفتيات في كثير من البلدان للموت جوعاً بصفة منتظمة ويعانين من الحرمان من الرعاية الصحية ومن الإهمال من جانب الأسر التي

(١) Ibid.

(٢) رقيقة سليم حمود: المرأة المصرية، مرجع سابق، ص ٩٨.

تفضل الأولاد، وينتج عن ذلك اختلال ديموجرافي بين عدد الرجال والنساء فى بعض البلدان مثل الصين والهند وكوريا وأجزاء من شمال أفريقيا، كما تتعرض الفتيات للاعتداء الجنسي أيضاً داخل بيوتهن من قبل ذكور من الأقارب، أو ما يعرف بزنا المحارم ، ويستمر تعرض المرأة والأنثى للعديد من أشكال العنف القائم على أساس النوع طوال فترة حياتهن، كما تواجه المرأة فى أماكن العمل أشكالاً أخرى من التمييز والإيذاء تتراوح بين التحرش الجنسي، وعدم المساواة فى الأجور وتدني إعانات الأمومة، وكل ذلك يزيد من موقفهن ضعفاً^(١).

وعند النظر إلى أشكال العنف الممارس ضد المرأة داخل بعض الدول العربية نجد أنه لا يختلف كثيراً عن بقية دول العالم، فالعنف الأسري هو الأكثر انتشاراً بين الدول العربية. ففي دراسة تم إجراؤها من قبل المركز الوطني للدراسات والتحليل الخاصة بالسكان والتنمية بالجزائر CENEAP بينت أن العنف المنزلي قديم ويمس كل شرائح المجتمع وطبقاته، وتعرضت المرأة بالخصوص للعنف المنزلي بدرجات مختلفة عبر أحقاب وأزمنة تاريخية بدءاً من وأد البنات خشية العار والفقر، حرمانهم من التعليم، ومن حقها فى التعبير، وحقها فى اختيار شريك حياتها، وطردها من منزل الزوجية، وإقصائها من الميراث، وتعرضها للابتزاز الجنسي والضرب والشتم والقذف، وعدم تمكينها من تقلد المسئوليات الاجتماعية والثقافية والسياسية^(٢).

وفى الضفة الغربية وقطاع غزة بينت إحدى الدراسات أن ٥٢% من النساء

(١) ماري فلاشوقا و ولياياسون: المرأة فى عالم غير آمن - العنف ضد المرأة - حقائق وصور وإحصاءات، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية ، ٢٠٠٧، ص ص ٥-٦.

(٢) مختار رحاب: أثر العوامل السوسيوثقافية فى إنتاج وتوليد العنف ضد المرأة داخل الأسرة الجزائرية - قراءة وتحليل سوسيوأنثروبولوجي (فى) المرأة العربية(تحرير) أحمد زايد، المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد(٥)، يناير ٢٠١٠، ص ١١٣.

الفلسطينيات تعرضن للضرب على الأقل مرة واحدة خلال العام السابق، فقد تعرضت ٢٣% منهن للدفع والركل والإيقاع، و ٣٣% للصفع، و ١٦% للضرب بعصا أو بحزام، و ٩% وهُوَجَمْنَ بأداة حادة كالكسكين أو قضيب حديدي من قبل أزواجهن، وفيما يتعلق بالعنف النفسي؛ بينت ٩% من الفلسطينيات أنهن تعرضن إلى شكل من أشكال العنف النفسي، كما أوضحت ٥٢% منهن تعرضهن للإهانة والسباب واللغة البذيئة وتسميتهن بأسماء مهينة من قبل أزواجهن مرة واحدة خلال العام السابق، وفي الأردن توصلت دراسة إلى أن نسبة من يتعرضن للضرب بصورة دائمة من أزواجهن بلغت ٤٧.٦% وأحياناً ٢٨.٦%، كما توصلت إلى أن الصفع يشكل أكثر أشكال الضرب شيوعاً إذ تبلغ نسبته ٦٥.٣% في الحالات الدائمة، في حين بلغت أحياناً ٢٢.٤%، وتقاربت النسب للركل واللحم وشد الشعر والرمى أرضاً إذ بلغت في معظمها ٤٤%، وبلغت نسبة الضرب بأداة حادة ٤٠.٨%^(١).

وتشير كذلك العديد من الدراسات إلى أن أكثر أشكال العنف الموجه ضد المرأة انتشاراً هو العنف النفسي فتوصلت دراسة داخل البحرين تم تطبيقها على ٦٠٥ امرأة بحرينية متزوجة إلى أن أشد وأكثر أنواع العنف حساسية وخطراً على الصحة النفسية للمرأة بالرغم من عدم تركه آثاراً مادية عليها هو الذي يتم على صيغة الشتائم والسباب والإهانات الجارحة، فكشفت النتائج على أن الإهانات والشتائم تحتل المركز الأول من العنف الممارس ضد المرأة فبلغت النسبة ١٤.٤%، ويليه الضرب الخفيف وبلغت النسبة ١٠.٤%، وتضيف الدراسة أن ما يزيد الوضع سوءاً وخطورة هو صعوبة إثبات هذا النوع

(١) هادي محمود: العنف ضد المرأة، مجلة الحوار المتمدن، العدد (٤١٩)، ٢٠٠٣/٣/٨ (في):

من العنف إذا أرادت الزوجة مقاومته قانونياً^(١) . كذلك أوضحت دراسة ناتاشا فوكوفيتش عن العنف الأسري والعنف ضد المرأة في الجبل الأسود؛ أن أكثر أشكال العنف شيوعاً هو الإذلال والشتم واللعان ثم الصفع والركل والدفع^(٢) .

وفيما يلي بعض الإحصائيات التي تناولت ظاهرة العنف ضد المرأة بأشكالها المختلفة في المجتمع المصري .

أوضحت نتائج بعض الدراسات الميدانية حول ظاهرة العنف ضد النساء في مصر عام ١٩٩٨ أن ٣٥% من النساء في مصر يتعرضن للاعتداء البدني وخاصة الضرب من جانب أقاربهن من الذكور وفي الأغلب من جانب الزوج، وفي تقرير عرضته "المنظمة العالمية ضد ممارسة التعذيب" عن ممارسة العنف ضد النساء في ٧٨ بلداً جاء أن ٣٤% من النساء في مدينة القاهرة وحدها يتعرضن للعنف مرة على الأقل كل أسبوع، وأوضحت ١٥% من المبحوثات أن العنف الزوجي يكون من نصيبهن مرة واحدة في الشهر، في حين أعربت ٢١% من المبحوثات أنهن يتعرضن للعنف الزوجي في مناسبات متباعدة، كما أقرت ١٨% من النساء اللاتي يتعرضن للضرب بأنهن تعرضن لإيذاء بدني نتيجة لذلك، بينما أقرت ١٠% من النساء أن ضربهن من قبل أزواجهن قد

(١) قدره عبد الأمير الهر: العنف ضد الزوجة وعلاقته بالصحة النفسية لدى الزوجات العربيات المعنفات في مدينة مالمو بالسويد، جزء للحصول على الماجستير، كلية الآداب والتربية - قسم العلوم النفسية والتربية - الأكاديمية العربية، الدنمارك، ٢٠٠٨، ص ٣٥-٣٦. (في)

http://www.ao-academy.org/wesima_articles/letters-٢٠٠٨١١٠١-١٧١٥.html

(٢) Natasa Vukovic; Study On Family Violence And Family Against Women, In Montenegro, Financial Assistance of The European, Undo, Montenegro, ٢٠١٢.(on).

<http://www.gendermontenegro.me/wp-content/uploads/٢٠١٢/٠٧/Summary.pdf>.

نتج عنه درجة من الأذى تستدعي تدخلاً طبياً^(١).

وصدر عام ٢٠٠٩ تقرير عن المجلس القومي للمرأة بعنوان "دراسة العنف ضد النساء في مصر ملخص النتائج" معتمداً على نتائج المسح الديموجرافي الصحي في مصر عام ٢٠٠٥، الذي أوضحت نتائجه أن ٤٧% من النساء المتزوجات تعرضهن للعنف الجسدي من سن ١٥ سنة، وأن أغلبهن أشرن إلى أن الشريك الحميم (أى الزوج الحالي أو السابق) هو مرتكب العنف ضدهن، فى حين أن ما يقرب من النصف ٤٥% أشرن الى أن العنف الممارس عليهن تم على أيدي ذكور غير الزوج، وأوضحت ثلث العينة ٣٦% إلى أن من مارس العنف ضدهن هى أنثى وهى الأم فى كثير من الأحيان، كما أشارت المبحوثات إلى أن الأب يمارس العنف ضدهن بنسبة ٥٣% يليه الأشقاء الذكور بنسبة ٢٣%، كما بلغت معدلات العنف الجسدي والجنسي فقط (باستثناء العنف النفسي) نسبة ٣٤% و ١٥% خلال العام السابق للمسح، وكذلك يُعدُّ العنف المرتبط بالشرف شكلاً من أشكال العنف ضد المرأة المتزوجة وغير المتزوجة، وتشير إحصائيات أحد التقارير حول جرائم الشرف فى مصر إلى أن ٧٩% من جرائم الشرف عبارة عن عمليات قتل لامرأة تحوم حولها شبهات لممارستها لسلوكيات جنسية، ومن أشكال العنف أيضاً ختان الإناث والزواج المبكر والزواج بالإكراه أو الزواج المؤقت، ويتم ممارسة ختان الإناث فى أربع دول فقط هى مصر والسودان واليمن وجيبوتي ، ووفقا للمسح الديموجرافي والصحي فى مصر لعام ٢٠٠٠ أن ٩٧% من النساء اللاتي تزوجن فى أى وقت من الأوقات قد خضعن للختان^(٢).

(١) أحمد زكي وآخرون: العنف ضد المرأة فى مصر، الطبعة الأولى، مركز المحروسة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٨٧.

(٢) دراسة العنف ضد النساء فى مصر ملخص النتائج، ٢٠٠٩، المجلس القومي للمرأة، ص ص ١٢-١٤. (فى):

وفى دراسة السيد عوض علي عيسى حول العنف ضد المرأة فى جميع محافظات مصر من خلال حصر شامل لحوادث العنف ضد المرأة والمنشورة فى الصحف المصرية (الأهرام، الأخبار، الجمهورية، الحوادث) خلال عام ونصف من أول يوليو ١٩٩٩ إلى آخر ديسمبر ٢٠٠٠ توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: أن من أهم أشكال العنف ضد المرأة فى الأسرة جاء القتل بنسبة ٣٢.٦% ثم الضرب المبرح بنسبة ٢٨.٨% ثم الإصابة بعاهة ٩.٧% أى أن العنف البدني من أكثر مظاهر العنف الأسري ضد المرأة وذلك بنسبة (٧١.١%)، يليه العنف المادي بنسبة (٢٠.٩%) متمثلاً فى النصب والاحتيال ٩%، الابتزاز ٥.٦% والطرده من منزل الزوجية ٦.٣%، ثم يأتي العنف النفسي بنسبة (٩.٧%) متمثلاً فى إنكار النسب بنسبة ٨.٣% والتشهير بسمعة المرأة ١.٤%، وأخيراً العنف الذاتي بنسبة (٤.٢%) وهو ميل بعض الحالات الواقع عليها العنف إلى الانتحار، كما توصلت الدراسة إلى أن الزوج هو الأكثر ميلاً لاستخدام العنف ضد المرأة بنسبة (٤٥.١%) يليه الأشخاص الذين يرتبطون مع المرأة برياط الدم مثل الأب والأم، والأخ والأخت، العم، العممة، الابن والابنة وذلك بنسبة (١٧.٥%)^(١).

يتضح من الدراستين السابقتين أن العنف البدني أو الجسدي من أكثر أشكال العنف الممارس ضد المرأة فى المجتمع المصري على مستوى الجمهورية، وأن الزوج هو الشخص الأول الذي يمارس العنف ضد المرأة فى حالة كونها متزوجة وفى حالة عدم الزواج يكون الأب ثم الابن، ويتضح من ذلك أن الرجل بصفة عامة والزوج خاصةً هو من يفرض الخضوع التام على المرأة وأنها تعيش فى فلكه فهو الذي يحدد دورها وما يجب أن تقوم به والخروج عن ذلك الدور المنوط لها يؤدي بها إلى أن تتال العديد من

<http://www.ncwegypt.com/images/research/١.pdf> .١١-١-٢٠١٣.

(١) السيد عوض علي عيسى: العنف ضد المرأة - تحليل مضمون لحوادث العنف الأسري ضد المرأة، مرجع سابق.

أشكال العنف الذي يمارسه ضدها الرجل.

٣-أسباب العنف ضد المرأة:

فلكي نفهم ظاهرة العنف ضد المرأة هناك العديد من أسباب العنف التي أظهرتها بعض نتائج الدراسات الميدانية نوردها فيما يلي:

أ- العوامل الاقتصادية:

إنَّ تردّي الوضع الاقتصادي في الأسرة يؤدي (في اغلب الأحيان) إلى اتخاذ القسوة والعنف في المعاملة من جانب الزوج لزوجته نتيجة لمعاناته مما ينعكس سلباً على الزوجة، ويترتب على هذا الوضع الاقتصادي عدم المقدرة على توفير احتياجات أفراد الأسرة فينشأ الصراع بين الزوج والزوجة لتوفير الاحتياجات وقد يتطور الصراع إلى العنف^(١). وهو ما توضحه العديد من الدراسات الميدانية فتشير دراسة ليلي عبد الوهاب إلى أن العوامل الاقتصادية تمثل أعلى نسبة بين العوامل الأخرى في تحديد أسباب العنف الواقع على المرأة في الأسرة فبلغت ٤٥.٦% موزعة على أربعة أسباب هي: الرغبة في الاستحواذ على الممتلكات بالقوة، النزاع على المصروفات، وعدم القدرة على الإنفاق، وأخيراً البطالة^(٢). وتعدُّ البطالة هي أيضاً من الأسباب القوية لممارسة العنف ضد المرأة، ويرى الاقتصاديون أن للبطالة تأثيراً أعمق على الرجال وذلك لارتباط مكانتهم وهويتهم بدور المنتصر، والافتقار إلى العمل المأجور من الممكن أن يتسبب في الشعور بعدم الأمان المادي، وكذلك عدم الشعور بالأمان فيما يتعلق بقدرته على الاحتفاظ بمكانته كرأس للعائلة، وكذلك لكون العمل المأجور أحد أهم الجوانب الاجتماعية في حياة الرجل، ومن ثمَّ فإنَّ شعوره بالخطر في هذا الجانب قد يكون أحد العوامل المسببة للعنف

(١) محمد عبد السلام العرود: العنف الأسري، مرجع سابق، ص ٥٦-٥٧.

(٢) ليلي عبد الوهاب: العنف ضد المرأة، مرجع سابق، ص ٦٥.

الموجه ضد المرأة ذلك لأن الرجل قد يحاول إعادة التوازن له من خلال ضرب زوجته^(١) . أي ممارسة العنف ضدها. وهذا ما توصل إليه السيد عوض علي عيسى في دراسته أن أكثر الأشخاص مرتكبي العنف ضد المرأة هم المتعطلون حيث بلغت النسبة ٤٠% من إجمالي العينة^(٢) . وإلى جانب بطالة الزوج فإن المرأة التي لا تعمل أكثر عرضه للعنف من مثيلتها وهو ما توصلت إليه كل من روس ماكملان و كانديس كراسشنيث في دراسة لهما بعنوان "أنماط من العنف ضد المرأة عوامل الخطر والنتائج" فأتضح ان هناك علاقة قوية وخاصة بين الوضع الاجتماعي والاقتصادي المنخفض للمرأة والعنف الذي تتعرض له ، فالنساء اللاتي تعانين من البطالة Unemployed تتعرض لأوجه متعددة من العنف مقارنة من اللاتي يعملن على الدوام Employed full-time فتبلغ النسبة بين النساء في الحالة الأولى ٦.٩ ٪ وفي الحالة الثانية ٢.٨ ٪^(٣).

ب- العوامل الثقافية :-

تُعَدُّ العوامل الثقافية من العوامل المهمة في ممارسة العنف ضد المرأة، وتعنى العوامل الثقافية كل ما هو موروث من قيم و أمثال يتم نقلها من جيل إلى آخر من خلال التنشئة الاجتماعية، و يترتب عليها استمرار التمييز بين الذكر والأنثى في فرص الحياة. وعند النظر إلى دورة حياة المرأة نجد أن العنف لا يزال يمارس ضد الأنثى منذ خروجها

(١) محمد أحمد محمد الشريف: العوامل الاجتماعية المرتبطة بالعنف الموجه ضد المرأة، مرجع سابق، ص ١٢٨.

(٢) السيد عوض علي عيسى: العنف ضد المرأة، مرجع سابق.

(٣) Ross Macmillan, Catherine Kruttschnitt: Patterns of Violence Against Women Risk Factors and Consequences, National Institute of Justice Grant, Final Report submitted to the U.S. Department of Justice, ٢٠٠٥, p٢٥.

إلى الحياة وعلى امتداد سنوات التنشئة الأولى، وتزداد أساليب القهر والمعاملة المتشددة كلما تقدمت في العمر، وتفتحت ملامحها الأنثوية وتبلورت، وأن أول صور هذا العنف التمييز الجائر بين الذكر والأنثى داخل الأسرة الواحدة فالأنثى دائماً ما تأتي في المرتبة الثانية بعد الذكر وفقاً لما ترسمه الثقافات الموروثة عبر الأجيال^(١). كما تتمثل أشكال التمييز القائمة بين الذكور والإناث في الأسرة والمجتمع في مجالات العمل والأجر والترقي والتعليم والاختيار للزواج والمشاركة المجتمعية والسياسية واتخاذ القرارات في الأسرة إلى غير ذلك من المجالات التي تزخر بالعديد من صور التمييز والاضطهاد للمرأة، إذن فعمليات التمييز التي تتعرض لها المرأة في المجتمع والأسرة تستمد قوتها وفعاليتها من خلال نسق من القيم والمعايير يحدد أدوار الذكور والإناث، ومكانة كل منهما في المجتمع، ويحرض على تفضيل الذكور وتعظيم سلطتهم العائلية والاجتماعية على حساب تبخيس وتحقير الإناث وتكريس تبعيتهم^(٢). إذن فالثقافة هي التي تحدد دور كل من الذكور والإناث من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الأم أو الجدة أى تتم من خلال سيدات الأسرة التي تمارس عنفاً ضد الطفلة الأنثى، اللواتي يحملن في عقولهن الثقافة المجتمعية السائدة وينقلنها إلى الأجيال رغم ما فيها من معاداة لهن وتحقير لذواتهن وتكريس لدونيتهن . من جهة أخرى فإن الأسرة المصرية عندما تعاقب صغارها تميز بين الصغير والصغيرة سواء من حيث سبب العقاب أم من حيث جسامة العقاب وتكراره^(٣). وتجبر الفتاة على خدمة شقيقها الذكر وإذا رفضت تُعاقب، وينظر لهذا النوع من التنشئة على أنه ضرورة أخلاقية يجب ممارستها مع الأنثى فهي حماية لها

(١) علياء شكري: قضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع - دراسة للثبات والتغير الاجتماعي والثقافي، الطبعة الأولى، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ٢٠٠٣، ص ٢٤٩.

(٢) ليلي عبد الوهاب: العنف ضد المرأة، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٣) ربيعة سليم حمود: المرأة المصرية، مرجع سابق، ص ١٠١.

وتدعيماً لمستقبلها طالما أنه يتم بهدف إعدادها لأن تكون زوجة صالحة وهو الهدف النهائي لمستقبل الفتاة^(١).

ومن أكثر صور التمييز بين الذكر والأنثى التي تعاني منها الطفلة منذ صغرها عدم العناية والاهتمام في مجال الرعاية الصحية والتغذية السليمة مثل الذكر، مما يؤدي إلى تعرضها للأمراض . فيؤدي التمييز القائم ضد الطفلة من حيث حصولها على التغذية وخدمات الصحة البدنية والعقلية إلى تعريض صحتها للخطر في الحاضر والمستقبل، ولقد تقزم نمو ما يقدر بنحو ٤٥٠ مليوناً من البالغات في البلدان النامية نتيجة سوء التغذية من حيث بروتين الطاقة في مرحلة الطفولة^(٢). بالإضافة إلى ذلك تتجلى صور التمييز ضد الذكور والإناث في كمية الطعام التي يتم توزيعها بطريقة غير عادلة بين أفراد الأسرة، فتعطي الأولوية في التوزيع للأب ثم البالغين من الذكور، وهذا ما أوضحته بيانات المسح القومي للتغذية؛ حيث تبلغ نسبة الأسر التي تقوم بذلك في الريف ٣٣.٧%^(٣). ويمتد التمييز إلى فترة الرضاعة التي تتلقاها الطفلة الأنثى عن الذكر، حيث يبلغ متوسط مدة إرضاع الطفل ١٩ شهر بينما تبلغ ١٧.٧ شهراً للإناث؛ حيث يسود اعتقاد بأن إرضاع الطفلة لمدة أكبر يقويها وبالتالي يتم إيقاف إرضاعها مبكراً حتى لا تقوى ، وتزداد حدة التفرقة كذلك في طلب العلاج فيتضح التمييز ضد الأطفال الإناث في الذهاب إلى الطبيب خاصة في صعيد مصر وفي المجتمعات الريفية والمناطق العشوائية

(١) فاتن محمد شريف: الرؤية المجتمعية للمرأة والأسرة - دراسات في الانثروبولوجيا الاجتماعية،

الطبعة الأولى، دار الوفاء للنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ٢٢٦.

(٢) سامية محمد فهمي: المرأة في التنمية، ط٧، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ٤٤٥.

(٣) نادية حليم: المرأة والعنف الاقتصادي - ندوة المرأة المصرية والتحديات المجتمعية، الهيئة العامة

لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٧.

الحضرية الفقيرة^(١).

ولذا يمكن القول أن درجة التفضيل بين الذكر والأنثى تمتد لتصل الى ما تحصل عليه من غذاء ورعاية طبية وحتى فى فترة الرضاعة^(٢). ولذا يتولد لدى الإناث الإحساس بالدونية وعدم الثقة وتقبلها لكل ما تتعرض له من تعنيف من قبل أفراد أسرتها، بل وتكيفها فى أحيان كثيرة لأشكال العنف ضدها نظرا لما تراه من تأييد المجتمع لذلك وهو ما يتضح فيما يلقى على أسماع المرأة منذ أن تكون طفلة من سيدات الأسرة من كم هائل من الأمثال الشعبية التي تؤيد ممارسة العنف ضد المرأة، بل تنتشره الطفلة وتمارس نفس الدور حينما تصبح أمًا أو جدة، أى أن المرأة تستمر فى ممارسة العنف ضد أبناء جنسها جيل بعد جيل دون محاولة (فى بعض الأحيان) تغيير هذا التمييز ضدها ورفضها له، وهناك العديد من الأمثال الشعبية التي تدني من قيمة المرأة ووضعها وتقلل من دورها، ومن هذه الأمثلة ما يتضح منذ لحظة ميلادها فعلى سبيل المثال يقال عند ميلاد الطفلة للام: "يا مخلفه البنات يا شايله الهم للممات". ويرجع تحمل الأم لمشقة إنجاب الإناث وترديد هذا المثل وفقًا لتفسير "سامية الساعاتي" الى . أن الأم قد تدفع الثمن لأنها لم تحسن تربية ابنتها، فهى المسئولة مباشرة عن ابنتها وعن سلوكها منذ البداية، وحتى عن مشكلاتها بعد الزواج من حيث عدم الإنجاب أو إنجاب الإناث فقط أو العلاقة بالزوج^(٣).

(١) سلمى جلال وهالة الدمنهوري: صحة المرأة (فى) الحالة الصحية والخدمات الصحية فى مصر - دراسة تحليلية للوضع الراهن ورؤى مستقبلية - جمعية التنمية الصحية والبيئية - برنامج السياسات والنظم الصحية، ٢٠٠٥، ص ص ٢٥٨-٢٥٩.

(٢) Lori L. Heise and others :Violence Against Women, The Hidden Health Burden, World Bank Discussion Papers, Washington, United States of America, ١٩٩٤, p ٥.

(٣) سامية حسن الساعاتي: المرأة والمجتمع المعاصر، دار قباء الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٣١٥.

وعند الإقدام على تعليمها يقال: "بنتك لا تعلمها حروف ولا تسكنها غروف(●)"
وعند زواجها تقال الأمثال الدالة على تبعيتها للرجل وعلى أهميته في حياتها مثل "ضل
راجل ولا ضل حيطه"

بل أيضاً تمتد الأمثال لتوضح عدم الاعتماد أو الأخذ برأي المرأة لعدم فائدته أو
قيمتها فيقال "الراجل ابن الراجل اللي عمره ما يشاور مراته".

بينما هناك العديد من الأمثال التي توضح العنف ضد المرأة لأنه سببٌ لتقويمها
وتربيتها فيقال على سبيل المثال: "اكسر للبننت ضلع يطلع لها اثنين" وكذلك "البننت ذى
التين تكسر ضلع يطلع عشرين"، وهذا يدل على أهمية ضرب الأنثى وعدم تأثرها بذلك،
وكذلك "موت البننت ستره" ويدل أن موت الأنثى هو في كثير من الحالات يكون أكرم لها
ولأسرتها.

كما هناك بعض الأمثال التي توضح كيف تتم معاملة الزوج لزوجته فمثلا يقال
"ضرب الحبيب زى أكل الزبيب" و"المرأة كل ما بهدلتها حبتك وكل ما دللتها سبتك"،
"المرأة زى السجادة ما بتنظف غير بالضرب" وهذا يدل على أهمية الضرب والإهانة في
حياة المرأة. وتستمر هذه الثقافة منتشرة في المجتمع ومتوارثة عبر الأجيال مقرنين ذلك
بتعاليم الدين السمحة متناسين أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- فلقد نهى الإسلام
عن ضرب المرأة والعنف ضدها، فلقد قال الله سبحانه وتعالى: "وعاشروهن بالمعروف"،
وقوله -صلى الله عليه وسلم- "واستوصوا بالنساء خيراً"، وقوله -صلى الله عليه وسلم-
في حق المرأة: "إن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتست، ولا تضربوا الوجه، ولا تقبح،
ولا تهجر إلا في البيت"، وحينما ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عملية ضرب
النساء فهو الضرب غير المبرح وقيل أن النبي(ص) كان يضرب زوجاته "بالسواك" وهو

(●) لا تسمح لها بالإقامة خارج المنزل .

أبسط شيء (١).

ج- وسائل الإعلام:-

تُعَدُّ وسائل الإعلام سلاحًا ذا حدين فهي قد تكون سببًا ودافعًا لظهور العنف أو قد تسهم في زيادة الوعي المجتمعي بالآثار المترتبة على ممارسة العنف ضد المرأة. ولقد أوضح الدكتور أحمد زايد أن العنف يرجع إلى التدفقات الإعلامية، كما بين آخر أنَّ أسباب العنف ترجع إلى وسائل الإعلام وبخاصة التلفزيون الذي ينقل يوميا برامج ومشاهد تمجد العنف وتعطيها قيما عليا وتجعله غاية منشودة، ومعايشة مشاعر التفكك الأسري وإحساس الفرد بأنه مهمش وغير ذي معنى (٢).

وعند النظر إلى صورة المرأة كما تعرضها وسائل الإعلام نجد أنها تتصف بصفتين: أولهما صورة المرأة المسالمة المنصاعة لزوجها وتمارس دورها التقليدي مرتضية برضاء الزوج وسعادته، متقبلة منه صورًا عديدة من العنف اللفظي والبدني في بعض الأحيان، ثانيهما صورة المرأة الحديثة كما توضحها وسائل الإعلام المرئية (التلفزيون- السينما) باعتبارها جسدًا أو موديلًا جذابًا لا وظيفة له إلا إثارة الشباب وزيادة حدة العنف لديهم تجاه المرأة، وهذا ما توضحه العديد من الدراسات . حيث تشير بعض الدراسات إلى العديد من الحقائق عن صورة المرأة في الإعلام العربي وتشمل الحقائق ما يلي (٣):

١- تتفق وسائل الإعلام في التركيز على الأدوار التقليدية للمرأة كزوجة وأم وربة بيت،

(١) علياء شكري: قضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع، مرجع سابق، ص ٢٥٢.

(٢) محمود سعيد إبراهيم الخولي: العنف في مواقف الحياة اليومية نطاق التفاعل، مرجع سابق، ص ٩٢-٩٣.

(٣) أيمن عقيل : عمل الإعلام والعنف ضد المرأة ما بين المواجهة والتكريس، مؤسسة ماعت للسلام

والتنمية وحقوق الإنسان، ٢٠٠٩ . (في)

<http://www.maatpeace.org/node/٣١٥٢.١-٢-٢٠١٣>

بينما لا يتم التركيز على الأدوار الأخرى للمرأة في مواقع الإنتاج والتنمية والمشاركة الاجتماعية والسياسية والثقافية والإبداعية إلا هامشيا، ويُعدُّ هذا إحدى سبل ممارسة العنف ضد المرأة وانتزاع أهم حقوقها.

٢- تركز السينما والدراما التليفزيونية على ثلاثة ادوار تقليدية للمرأة تنحصر في الزوجة الخاضعة للزوج والأم المعطاءة والمنحازة للذكور، والابنة المطيعة لوالديها فضلا عن شيوع نموذج المرأة اللاهثة وراء الثروة.

٣- كما أن استخدام المرأة كجسد ومفاتيح في الإعلانات يمثل عنف ضدها وتقديمها بطريقة مبتذلة في الأفلام والمسلسلات، وكذلك تقديمها بالصورة النمطية وحصرها في المطبخ وغرف النوم وأنها ذات دور هامشي في الحياة والمجتمع مما يمثل عنفاً ضدها.

٤- ولا يجب إغفال دور الإعلانات التي تقدم المرأة على أنها كائن قابل للتجار به في مجال الترويج للسلع الاستهلاكية، وفي إطار أساليب تعتمد على عناصر التشويق والجادبية وكأنها كائن جميل أو جسد مطلوب إظهار محاسنه ومفاتيحه^(١).

إذن فالفطرة الغريزية للمرأة تشكل عنفا شديدا تجاهها، تزداد حدته وفقاً لتشدد أعراف المجتمع الذي تنتمي إليه وتقاليده، ويكسر من شدة هذا العنف الصورة الذهنية التي أوجدتها وسائل الإعلام عنها، وتقديم صورة ذهنية مشوهة عن المرأة والترويج عنها على أنها "سلعة تبحث عن مستفيد" يحفز السلوك العنيف نحوها من قبل الرجل في المنزل أو الشارع أو العمل، ويمكن أن يعرضها إلى تحرش أو اعتداء فضلا عن الإسهام في خلق "النموذج التخيلي" للمرأة في ذهنية الرجل والذي قد لا تنطبق مواصفاته على زوجته، فيتكسر سلوكه العدواني تجاه زوجته للتعبير عن احتجاج غير معلن أو مقبول الدوافع من قبله ويزيد ذلك من العنف الأسري^(٢).

(١) ناهد رمزي: المرأة والإعلام في عالم متغير، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٤، ص ١٧٦.

(٢) أيمن عقيل: عمل الإعلام والعنف ضد المرأة، مرجع سابق.

٤- آثار العنف ضد المرأة :-

إن للعنف ضد المرأة العديد من الآثار السلبية حيث يؤثر على الصحة النفسية والجسدية للمرأة بل تسبب خسائر اقتصادية عالية. فهو واحد من أكثر الانتهاكات لحقوق الإنسان في كل المجتمعات ويشكل تهديداً رئيساً للتنمية الاجتماعية والاقتصادية^(١). ويمتد تأثير العنف فلا يقتصر على المرأة فقط بل يمتد ليشمل الأسرة والمجتمع.

أولاً: آثار العنف على المرأة:-

إن المرأة التي تتعرض للعنف تعاني من العديد من الآثار النفسية والاجتماعية السلبية نتيجة وقوعها ضحية للعنف، وهذه الآثار هي الأكثر تأثيراً على المرأة لما تتركه من آثار واضحة على صحتها النفسية والإنجابية، وهذا ما أوضحته منظمة الصحة العالمية في دراسة لها في عدة بلدان على مستوى العالم، حيث بينت الدراسة أن العنف الممارس ضد المرأة هو إحدى المشكلات الصحية العمومية الكبرى وأحد انتهاكات حقوق الإنسان، وأن من ١٥% إلى ٧١% من النساء ابلغن عن تعرضهن في مرحلة ما من حياتهن لعنف جسدي أو جنسي مارسه ضدهن الأشخاص الذين يعاشرونهن، ويتسبب هذان الشكلان من العنف في ظهور مشاكل جسدية ونفسية وجنسية، ومشاكل صحية إنجابية وخيمة على كل من المدى القريب والبعيد وإلى تكبد تكاليف اجتماعية واقتصادية عالية^(٢). ومن هذه الآثار:

(٣)Elizabeth Abama and Chris, M.A Kwaja :Violence Against Women In Nigeria: How The Millennium Development Goals Addresses The Challenge ,The Journal of Pan African Studies, Vol(٣),N٠(٣), ٢٠٠٩,p٢.

(٢)منظمة الصحة العالمية:العنف الممارس ضد المرأة،مركز وسائل الإعلام، صحيفة وقائع رقم ٢٣٩ (في):.

أ- مشكلات بدنية ونفسية:

معظم الدراسات أثبتت أن آثار العنف تظهر على المرأة بوضوح من حيث الصحة النفسية والجسدية. وتوضح بعض الدراسات التي أجريت أن العنف الجسدي الذي تتعرض له المرأة يؤدي إلى إصابات خطيرة أو عاهات مستديمة منها كسور العظام والتشوهات الجسدية الناجمة عن الحروق والعض، واستخدام الأسلحة وغيرها من الأدوات، وتوصلت دراسة أمريكية أجريت على وحدات الطوارئ بالمستشفيات إلى أن ما بين ١١% و ٣٠% من النساء المصابات تعرضن للإصابة من قبل شريك الحياة، وأنهن كن أكثر عرضة للإصابة في الرأس والوجه والرقبة والقفص الصدري والبطن من غيرهن من الجرحى المصابات (١).

كما بينت منظمة الصحة العالمية أنّ من بين الآثار الصحية المترتبة على العنف ضد المرأة؛ الصداع وآلام الظهر وآلام البطن والألم الليفي العضلي والاضطرابات المعدية المعوية ونقص القدرة على التحرك وتدهور الحالة الصحية، وقد يسجل في بعض الحالات وقوع إصابات مميتة وغير مميتة على حد سواء، ويمكن كما توجد علاقة بين التعرض لذلك العنف في الصغر والوقوع ضحية له عند الكبر (٢).

وقد تلجأ المرأة المتعرضة للعنف الى نوع آخر من العنف هو العنف الموجه الى

<http://www.who.int/mediacentre/factsheets/fs239/ar/> ١-٢٠١٣-١

(١) ماري فلاشوفا ووليا بياسون: المرأة في عالم غير آمن، مرجع سابق، ص ٥٨.

(٢) منظمة الصحة العالمية: العنف الممارس ضد المرأة، مرجع سابق. (في)

<http://www.who.int/mediacentre/op-cit>

النفس وهو محاولات الانتحار والتي يسمى في بعض الدول "إيذاء الذات المتعمد"^(١). وهو فعل ناجم عن اليأس يقوم به شخص لم يعد متعلقًا بالحياة، فالضحية Victem في اللحظة التي تقدم فيها على الفعل-أي الانتحار-الذي يضع نهاية لحياتها تكون متيقنة كل اليقين من النتيجة التي يترتب عليها فعلها^(٢). فهو وسيلة للتخلص من حياتها للأبد ولإنهاء سلسلة العنف الذي تتعرض له سواء الجسدي أم الجنسي، فقد يصل العنف الذي يمارس ضد المرأة إلى إقدامها على الانتحار نتيجة للألم النفسي الذي تصاب به، فقد دلت الدراسات في عدة ثقافات متفرقة (مثل شمال أفريقيا وجزر في ماليزيا) أن التي يمارس ضدها العنف البدني من قبل زوجها تحاول الانتحار بمعدل يزيد على اثنتي عشرة مرة من النساء الأخريات، وعندما تتعرض المرأة للاغتصاب فهناك آثار أخرى نتيجة الصدمة التي تتلقاها، حيث تصاب بحالة من الهياج والتعصب كلما تذكرت ما حدث لها، وأشارت دراسات إلى أن المرأة التي تعرضت للاغتصاب تشعر دائما بالألم وكثيرًا ما تحجب نفسها عقليا عن الحديث عن هذا الموضوع، وقد تشعر بالألم في المعدة وفقدان للشهية، ولا تستطيع الارتباط بأفراد أسرتها بل تكن عدوانية مع أطفالها^(٣).

ويتضح من ذلك مدى المعاناة التي تتعرض لها المرأة سواء التي تتعرض للأذى الجسدي أو الجنسي وما يترتب عليه من أمراض نفسية تكون ملازمة لها. وفي دراسة أعدها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية تبين أن ٨٨% من النساء اللاتي

(٢) World Health Organization :Violence-A Global Public Health Problem

(in)World Report On Violence and Health,Geneva,٢٠٠٢,p.٦.

(٢) إميل دور كايم: الانتحار، (ترجمة) حسن عودة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١، ص.ص ٨-١١.

(٢) منال محمد عباس: العنف الأسري رؤية سوسيولوجية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١١، ص ١٢٩.

يتعرضن للعنف عرضة للإصابة بالاكتئاب والقلق وأن ١٢% يراودهن التفكير فى الانتحار للتخلص من حياتهم^(١).

كما يؤدي العنف الى حدوث خلل فى العلاقة بين الزوجين. فلقد قام المجلس القومي للمرأة في مصر بنشر العديد من الدراسات حول العنف ضد النساء، بما فى ذلك دراسة حول الآثار الجسدية والنفسية للعنف على النساء وعلى المجتمع ككل، وتوصلت الدراسة إلى أنه: عند المقارنة بين سيدات لم يتعرضن للعنف بمثلتهن من الزوجات اللاتي مورس بحقهن العنف تبين انتشار أنماط سلبية من التواصل بين الزوجين، وتدني مستوى الرضا، والمودة والتناغم والسعادة فى إطار الزواج^(٢).

ب- الزواج المبكر Early Marriage

يعتبر الزواج المبكر أحد مظاهر العنف الممارس على الفتاة قبل الزواج، ويقصد به من الناحية الطبية والعلمية هو الزواج قبل البلوغ وهى الفترة الزمنية التي تتحول فيها الفتاة من طفلة إلى بالغة^(٣). ويرى البعض أن مفهوم الزواج المبكر يمكن أن يُعرف من خلال تحديد سن الزواج وهناك رأيين حول السن أولهما: يرى أن الزواج المبكر

(١) سماح صلاح الدين: المجتمع المصري والعنف ضد المرأة بحث إلى مركز المرأة العربية للبحوث والتدريب "كوثر"، تونس، ٢٠٠٦، ص ١٣.(في):

<http://www.genderclearinghouse.org/upload/Assets/Documents/٤Egypt.pdf>.

١١-١١-٢٠١٢.

(٢) المجلس القومي للمرأة : دراسة العنف ضد النساء فى مصر - ملخص النتائج، مرجع سابق، ص ١٨.

(٣) حسام الدين عفانه: الزواج المبكر - دراسة مقدمة إلى مؤتمر المرأة الفلسطينية وتحديات الأسرة المعاصرة، جامعة النجاح الوطنية، الفترة من ٢٤-٢٥ أبريل ٢٠٠٠.

هو الذي يتم قبل سن البلوغ أى يتم قبل سن الخامسة عشر، وثانيهما: يرى أنه الذي يتم بعد سن البلوغ وقبل الثامنة عشر^(١).

وتتحمل الفتاة عند زواجها مبكرا العديد من المسئوليات تكون غير مؤهلة نفسياً أو جسدياً على تحمل تبعاتها، وتشير العديد من الدراسات الى انتشار هذه الظاهرة فى المناطق الريفية الفقيرة وخاصة فى قرى صعيد مصر؛ حيث تتزايد معدلات الفقر والأمية بالإضافة إلى سيادة بعض القيم والعادات الموروثة التي لا تزال ترى فى زواج البنت ستره^(٢). وتتعدد الأسباب التي تدفع إلى الزواج المبكر للإناث وفقاً للمستوى الثقافي والاقتصادي للأسرة، فلا يزال العامل الاقتصادي ومستوى الفقر للأسرة أحد العوامل الهامة للزواج المبكر، فتشير الدراسات أن الفقر والجشع يعتبران سببان هاما يدفعان بالأهل لتزويج بناتهن فى سن مبكرة بهدف الاستفادة من مهرهن أو التخلص من مسئوليتهن^(٣).

أضف الى ذلك المعتقدات والتقاليد التي لا تزال تمارس قوتها على أفراد المجتمع، فالخوف على الشرف والعرض والسيطرة على غريزة الجنس داخل المرأة أمور تجعل الأسرة تقبل على تزويج الفتاة مبكراً، ورغبة الريفيين فى الإكثار من الأولاد

(١) ميسون على الفايز: زواج الصغيرات، مركز الأبحاث الواعدة فى البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، CSRWS، جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٢،

ص ٢ (فى): -٢-٢

٢٠١٤. <http://csrws.net/tabid/١٧٧/Default.aspx>

(٢) المرجع السابق، ص ٢ .

(٣) ميسون على الفايز: زواج الصغيرات، مرجع سابق، ص ٥.

والتخلص من أعباء الفتاة^(١). فمن المعروف أن الزواج المبكر وسيلة لإنجاب العديد من الأبناء للعمل ومساعدة الآباء^(٢).

وبالإضافة إلى العوامل الاقتصادية والثقافية فهناك عوامل ترجع إلى المرأة نفسها. متمثلة في رغبتها في الزواج هرباً من المشاكل الأسرية، وهذا يعني أن سوء معاملة الأب للفتاة الصغيرة يعد سبباً من أخطر الأسباب التي تجعلها ترضى بمن ينقذها من الوضع المنزلي الغير آمن بالنسبة لها، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالمعاملة الغير منصفة من قبل الأسرة^(٣).

كما أوضحت إحدى الدراسات المتعلقة بالصحة الإنجابية انه لا تزال ظاهرة الزواج المبكر منتشرة-خاصة في العشوائيات-مما قد يترتب عليها الإجهاض نتيجة لعدم اكتمال نمو الفتاة، بالإضافة إلى الآثار السلبية على صحة المولود والأم؛ فمن حيث المولود احتمال حدوث حالات ضعف في بنيته أو الإصابة بالأمراض، أما على صحة الأم فقد يؤدي تكرار الحمل إلى ضعف صحة المرأة والإصابة بالعديد من الأمراض^(٤).

وتتأثر صحة المرأة عامة والصحة الإنجابية خاصة بمجموعة من العوامل تتمثل أكثرها أهمية في مكانة المرأة في المجتمع، ففي كثير من أنحاء العالم تتعرض البنات للتمييز فيما يتعلق بتوزيع الموارد العائلية وبالوصول على الرعاية الصحية، كما أن المناطق التي تتدنى فيها مكانة المرأة تأتي صحتها وتعليمها وحاجاتها العاطفية في

(١) مركز الأرض لحقوق الإنسان: الزواج المبكر للإناث (في) www.wmf.org.eg

(٢) ميسون على الفايز: مرجع سابق، ص ٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٩.

(٤) هبة محمد عادل مصطفى: الأبعاد الاجتماعية والثقافية المؤثرة على الصحة الإنجابية للمرأة في

المناطق عشوائية، مرجع سابق، ص ١٤

الدرجة الثانية بعد الرجل، وأخيراً تتأثر الصحة الإنجابية بمدى توفر خدمات الرعاية الصحية للمرأة (١) .

ثانياً: آثار العنف على الأسرة:

إن العنف الذي يقع داخل الأسرة يولد الكراهية في العلاقات الاجتماعية بين أعضاء الأسرة، ويسهم في إخفاق الأطفال في التكيف مع المدرسة والمجتمع، وهو عائق خطير في مسيرة مستقبل الشباب وخاصة وأن هناك احتمال لتعلم السلوك العنيف ودوام انتقاله من جيل إلى جيل فيعد عقبة أخرى من عواقب الأسرة، ويُعدُّ الأطفال أكثر أفراد الأسرة تضرراً بالعنف سواء من خلال التعرض له أو مشاهدته يحدث بين الوالدين، وأن التأثير يكون بصورة مباشرة وغير مباشرة عليهم، فالمرأة التي تتعرض للضرب يقل اهتمامها وقدرتها على رعاية أطفالها واهتماماتهم، ويزيد احتمال ضربها لهم، وقد تنجح إلى كراهيتهم لأنهم يجبروها على استمرار تلك العلاقة الزوجية التي لا تحتملها، وفي إحدى المسوح التي أجريت على ٦٠٠٠ أسرة وجد الباحثون أن ٥٠% من الرجال الذين يعتدون على زوجاتهم يقومون أيضاً بإيذاء أطفالهم، وأن ٥٩% من الأمهات اللاتي أسأن معاملة أبنائهن أو أهملنهن تعرضن هن أنفسهن للضرب من أزواجهن (٢).

(١) وزارة الصحة: مبادئ الصحة الإنجابية، سوريا

٢٠١٠، (في) ٢٠١٣-٦-٢١٨.١-٦، <http://www.moh.gov.sy/default.aspx?tabid=218.1-6-2013>

(٢) منال محمد عباس: العنف الأسري رؤية سوسولوجية، مرجع سابق، ص.ص ١٢٦-١٢٧.

وأوضحت منظمة الصحة العالمية أن الأطفال الذين ينشأون في أسر تمارس عنفا أسريا يواجهون مجموعة من الاضطرابات السلوكية والعاطفية يمكن أن تؤدي بهم إلى اقتتاف ذلك العنفا أو الوقوع ضحية له في مرحلة لاحقة من حياتهم^(١).

كما أن هناك مشكلات يتعرض لها الأطفال نتيجة للعنفا الممارس على الأم تتمثل في: تسرب الأبناء من المدارس، جنوح أبناء الأسرة التي يسودها العنفا، وكذلك انتشار العنفا والعدوانية لديهم وعدم التمكن من تربية الأبناء وتنشئتهم تنشئة نفسية واجتماعية متوازنة^(٢).

وتشير كارولين موسر أن العنفا الممارس داخل الأسرة يؤثر سلبا على دور الأسرة في إرساء وغرس القيم والعادات والمعايير التي تدعم الثقة بين أفرادها وعلاقاتهم داخل الأسرة ويؤدي ذلك إلى تفكك الأسرة وعدم ترابطها مع تزايد وتيرة العنفا بين أعضائها، وقد أكدت الدراسات على وجود ارتباط بين العنفا الذي يحدث في الأسرة ودرجة تماسكها؛ حيث إنَّ ازدياد مشكلات العنفا يؤثر على تماسكها وتفككها وانهارها في النهاية^(٣).

ثالثا: آثار العنفا على المجتمع:

يؤدي العنفا الممارس ضد المرأة إلى تكبد تكاليف اجتماعية واقتصادية ضخمة تخلف آثارا عديدة على المجتمع، فقد تعاني المرأة من العزلة وعدم القدرة على العمل

(١) منظمة الصحة العالمية: العنفا الممارس ضد المرأة، مرجع سابق،

(٢) ريبا أحمد الدباس: العنفا ضد المرأة، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص ٨١.

(٣) منال محمد عباس: مرجع سابق، ص ١٣١.

وفقدان الأجر ونقص المشاركة في الأنشطة المنتظمة^(١). مما يقلل من استمرار نسبة مشاركة المرأة في العمل المنتج ويعيق من اندماج المرأة في الحياة الاقتصادية والإنتاجية، ويقلل فرصة الدولة من الاستفادة من الطاقة النسائية وكذلك فرصة توظيف هذه الطاقات في عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية^(٢). وكما أوضح الأمين العام للأمم المتحدة في دراسة عن العنف ضد المرأة "أن هذا العنف يسبب الفقر للمرأة وأسرته والمجتمعات بل والأمم، وانه يقلل الإنتاج الاقتصادي ويستنزف الموارد من الخدمات العامة وأصحاب العمل ويقلل من تكوين رأس المال البشري^(٣)".

وأخيراً يمكن القول بأن آثار العنف متداخلة ولا يمكن الفصل بينهما فهي سلسلة متصلة الحلقات. فآثار العنف ونتائجه سواء على المرأة أم الأسرة أم المجتمع متداخلة ومتشابكة والنتائج التي يتركها العنف إنما تتداخل وتتفاعل معا ويفضى بعضها إلى البعض الآخر ليشكل خطراً فعلياً وجسيمياً يهدد البنية الاجتماعية والاقتصادية للأسرة والمجتمع على حد سواء، ولعل أهم هذه الآثار يتمثل في تهديد وإعاقة سياسات التنمية والتغيير الاجتماعي لذا قد يتعثر المجتمع إلى الأمام، وتتعثّر عملية التنمية الاجتماعية ما لم يتم مكافحة أنواع التمييز ضد المرأة، والذي يقف إلى حد كبير وراء العديد من أشكال العنف الأسري^(٤).

(١) منظمة الصحة العالمية: العنف الممارس ضد المرأة، مرجع سابق.

(٢) رياً أحمد الدباس: مرجع سابق، ص ٨٢.

(٣) Ending Violence Against Women: From Words to Action. Op-cit.

(٤) حلمي ساري: الآثار النفسية والاجتماعية والاقتصادية للعنف الأسري على المرأة والمجتمع المحلي،

الحوار المتمدن، العدد (١٥٢)، ٦-٦-٢٠٠٢. (في):

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=١٦١٥.١-٢-٢٠١٣>.

المراجع

أولاً المراجع العربية:

١. أحمد زكي وآخرون: العنف ضد المرأة فى مصر، الطبعة الأولى، مركز المحروسة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧.
٢. احمد عكاشة، الطب النفسى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٨.
٣. احمد عوض: علم الإجرام، ط١، القاهرة، دار الثقافة العربية، ١٩٨٥.
٤. احمد محمد خليفة، مقدمة فى السلوك الإجرامى، الجزء الأول، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٢.
٥. إميل دور كايم: الانتحار، (ترجمة) حسن عودة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١.
٦. أوسيون، الماركسية والتحليل النفسى، ترجمة سعاد الشرقاوي، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠.
٧. حامد زهران، الصحة النفسية، ط٣، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٧.
٨. حسام الدين عفانه: الزواج المبكر - دراسة مقدمة إلى مؤتمر المرأة الفلسطينية وتحديات الأسرة المعاصرة، جامعة النجاح الوطنية، الفترة من ٢٤-٢٥ أبريل ٢٠٠٠.
٩. حسن الساعاتي، التحليل الاجتماعى للشخصية، المجلة الجنائية القومية، المجلد الأول، العدد الأول، القاهرة، المعهد القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٥٨.
١٠. حسن سعبان، مشكلات المجتمع المصرى، ط٢، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٥.
١١. حسن همام ، علم الاجتماع وقضايا فى علم الاجتماع الريفى ، كفالشيخ ، مطبعة الاصدقاء، ١٩٩٧.

١٢. ربا أحمد الدباس: العنف ضد المرأة، الطبعة الأولى، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، ٢٠٠٩.
١٣. سام ياسليوس وآخرون، مبادئ علم الاجتماع الريفي والحضري، القاهرة، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، ١٩٨٣.
١٤. سامية حسن الساعاتي: المرأة والمجتمع المعاصر، دار قباء الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧.
١٥. سامية محمد فهمي: المرأة فى التنمية، ط٧، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩.
١٦. ستيفن روز وآخرين: علم الأحياء والأيدولوجيا والطبيعة البشرية، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (١٤٨)، إبريل ١٩٩٠.
١٧. سلمى جلال وهالة الدمهوري: صحة المرأة (فى) الحالة الصحية والخدمات الصحية فى مصر - دراسة تحليلية للوضع الراهن ورؤى مستقبلية - جمعية التنمية الصحية والبيئية - برنامج السياسات والنظم الصحية، ٢٠٠٥.
١٨. سناء الخولي، التغيير الاجتماعي والتحديث، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٤.
١٩. السيد عوض : الجريمة فى مجتمع متغير ، الإسكندرية، المكتبة المصرية، ٢٠٠١.
٢٠. -----: العنف ضد المرأة - تحليل مضمون لحوادث العنف الأسري ضد المرأة فى الصحف المصرية، مؤتمر تنمية المرأة العربية-الإشكاليات وآفاق المستقبل، جامعة جنوب الوادي، مركز دراسات الجنوب والمركز العربي للتعليم والتنمية، قنا-الأقصر ٥-٧ فبراير ٢٠٠١.
٢١. السيد محمد بدوي، التطور فى الحياة والمجتمع، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٦٦.
٢٢. -----، علم الاجتماع والمشكلات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية،

- الإسكندرية، ١٩٩٥.
٢٣. شادية قناوي، المشكلات الاجتماعية وإشكالية اغتراب علم الاجتماع، رؤية من العالم الثالث، القاهرة، دار الثقافة العربية، ١٩٩٥.
٢٤. عبد المنعم شوقي، العمل مع المجتمعات المستحدثة، القاهرة، دارالتعاون للطبع والنشر، ١٩٧٧.
٢٥. -----، مجتمع المدنية والاجتماع الحضري، ط٥، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٧.
٢٦. عزة صيام، المشكلات الاجتماعية والنقد الاجتماعي، القاهرة، مكتبة الحرية، ١٩٩٣.
٢٧. عزة كريم، تحليل سوسولوجي لجريمة الاختلاس، رسالة دكتوراه، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٣.
٢٨. على عبد الرازق جلبي وآخرون، علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩.
٢٩. علياء شكري: قضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع - دراسة للثبات والتغير الاجتماعي والثقافي، الطبعة الأولى، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ٢٠٠٣.
٣٠. فانتن محمد شريف: الرؤية المجتمعية للمرأة والأسرة - دراسات في الانثروبولوجيا الاجتماعية، الطبعة الأولى، دار الوفاء للنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٧.
٣١. فاروق العادلي، المجتمع القروي، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨٢.
٣٢. فاطمة علم الدين : التطور الاجتماعي في الريف ، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٤.
٣٣. قباري إسماعيل، علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٧٩.

٣٤. ماري فلاشوفا و وليابياسون: المرأة فى عالم غير آمن - العنف ضد المرأة -
حقائق وصور وإحصاءات، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية ، ٢٠٠٧.
٣٥. مالك بن نبي، ميلاد مجتمع وشبكة العلاقات الاجتماعى، ط١، بيروت، دار
الفكر العربى، ١٩٧٤.
٣٦. محمد احمد بيومى، المشكلات الاجتماعية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية،
١٩٨٨.
٣٧. محمد الغربى عبد الكرىم، علم الاجتماع، القاهرة، دار نهضة الشرق، ١٩٨٠.
٣٨. محمد سلامه غبارى، مدخل علاجى جديد لانحراف الأحداث، الإسكندرية،
المكتب الجامعى الحديث، ١٩٨٥.
٣٩. محمد عارف، الجريمة فى المجتمع، ط٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،
١٩٨١.
٤٠. محمد عاطف غيث وإسماعيل سعد، التخطيط الاجتماعى، الإسكندرية، دار
المعرفة الجامعية، ١٩٩٠.
٤١. محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،
١٩٧٩.
٤٢. محمد عبد السلام العرود: العنف الأسرى - دوافعه وآثاره وعلاجه من منظور
تربوى إسلامى، الطبعة الأولى، دار الفاروق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨.
٤٣. مختار رحاب: أثر العوامل السوسيوثقافية فى إنتاج وتوليد العنف ضد المرأة
داخل الأسرة الجزائرية - قراءة وتحليل سوسيوأنثروبولوجى (فى) المرأة
العربية (تحرير) أحمد زايد، المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد (٥)، يناير ٢٠١٠.
٤٤. منال محمد عباس: العنف الأسرى - رؤية سوسىولوجية، دار المعرفة الجامعية ،
الإسكندرية، ٢٠١١،

٤٥ . نادية حلیم: المرأة والعنف الاقتصادي (محرراً) نجوى الفوال، ندوة المرأة المصرية والتحديات المجتمعية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنايية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ٢٠٠٢.

٤٦ . ناهد حسن صالح، العودة إلى الإجرام، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٥.

٤٧ . ناهد رمزي: المرأة والإعلام فى عالم متغير، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٤.

٤٨ . نويل تايمز، علم الاجتماع ودراسة المشكلات الاجتماعية، ترجمة وتعليق د. غريب سيد احمد، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- ١- Allen, F.R., Technology and Social Change, New York, ١٩٥٧.
- ٢- Arendt, H., Totalitarianism, Harvard University Press, Cambridge, ١٩٥٤.
- ٣- Barnes, J.A., Measures of Divorce Frequency in Simple Societies, Journal of The Royal Anthropological Institute, Vol. LXXIX, ١٩٥١.
- ٤- Becher, S. Howard Deviance and The Response of Other, in Henshel, L., Richard and Silverman, A Robert (eds): perception in criminology, U.S.A., Columbia University Press, ١٩٧٥.
- ٥- Beischer, T. & Person, D., The Process of Social Influence, Prentic Hall, New Jersey, ١٩٧٢.
- ٦- Bendict, R., Patterns of Culture, London, ١٩٣٥.
- ٧- Bograt, the Age of Television, FrederichUngar, New York, ١٩٥٨.

- 8- Burgess, E. & Locke, H., The Family, N.Y., 1901.
- 9- Caldwell G., Robert: Criminology, 2nd ed., N.Y., The Ronald Press Co., 1960.
- 10- Charles Zastrow: Social Problems, 4th ed., Chicago Nelson Hall Inc., 1997.
- 11- Claude Fisher: The urban experience, N.Y., Harcourt Brace Jovanovich, 1976.
- 12- Cohen, A.P., Attitude Change and Social Influence, Basic Books, New York, 1964.
- 13- Cooley, C., Sociological Theory and Social Research, Henry Holt, New York, 1930.
- 14- Coser, L.A., The Functions of Social Conflict The Free Press, Glencoe, 1966.
- 15- Cottrell, W.F., Deat by Dieselization, in American Sociology Review, Vol. XVI, 1951.
- 16- Davis, K., Humon Society, New York, 1949.
- 17- D. Bouge: Prenciple of Demography, N.Y., Wiley, 1969.
- 18- Dexter & White, People Society and Mass communication, the Free Press, Glencoe, 1964.
- 19- Durkheim, E., Les Regles de La Methode Sociologique, Paris, 1928.
- 20- Durkheim, E., Le Suicide, Paris, 1932.
- 21- E., D., Stanily: Social Problems, 3rd ed., U.S.A, Allyns and Bacon Inc., 1980.

- २२- Erich From: The san society, ०th ed., London, Routledge&Kegan Paul, १९६१.
- २३- Erikson, Kai: The tyranny of label, in Henshel, L. Richard and Silverman A., Robert (eds): Preception in criminology, U.S.A., Columbia University Press, १९१०.
- २४- Evans – Pritchard, E., The Neur, Oxford, १९४०.
- २०- Fitcher, J. H.: Sociology, Chicago, University of Chicago Press, १९६४.
- २६- Firth, R., Elements of Social Organization, London, १९०१.
- २१- Fishben, M., Readings in Attitude, Theory and Measurement, Wiley, New York, १९६१.
- २२- Firth, R., Element of Social Organization, London, १९०१.
- २३- Fishben, M., Reading in Attitude, Theory and Measurement, Wiley, New York, १९६१.
- २०- Ginsberg, M., The Idea of Progress, London, १९०२.
- २१- Goleski, B., Basic Concepts of rural Sociology, Manchester University Press, London, १९१२.
- २२- Gouldner, A., Patterns of Industrial Bureaucracy, The Free Press, Glencoe, १९०४.
- २३- Gurvitch, G., Traite de Sociologie, Paris, १९६३.
- २४- Hancock, A., Mass Communication, Longmans, London, १९६८.
- २०- Haribson, F. &Dubin, R., Patterns of Union Management Relations, State University Personnel Research Board, १९००.
- २६- Haynes, E Fred: Criminology, २nd ed., U.S.A, Mc Grow Hill

Book Co., Inc., 1930.

- 37- Herert J. Gans: urbanism and suburbanism as a way of life, A Revolution of definition in Guman and Popenpme (eds): City and Metroplis, N.Y., Random House, 1970.
- 38- Hester, S. and Eline, P: A Sociology of Crime, London and New York, Routledge, 1992.
- 39- Hoepel, E., Man in the primitive world, New York.
- 40- Homans, G., The Human Group, New York, 1950.
- 41- House, F. N., Development of Sociology, New York, 1936.
- 42- H. M. Choldin: Social life and the physical environment, in Handbook of contemporary Urban life (ed), D. Street (San Francisco, C. A. L. Josey-Bass) 1973.
- 43- James, W-Coleman and Ronald, R., Cressey: Social Problems, 0th ed., N.Y., Harper Collins, 1993.
- 44- Josef Gvler and William, G. Elanagen: Urbanization and Social change in west Africa, U.S.A, Cambridge university press, 1978.
- 45- J. B., Chitambar: Introductory Rural Sociology, Bombay, Wiely Eastern LImted, 1993.
- 46- Keesing F., Cultural Anthropology, New York, 1958.
- 47- Kenkel, F, William: Society in Action, Introduction to Sociology, 2nd ed., N.wY., Harper & Row, 1980.
- 48- Klapper, J. t., The Effects of Mass Communication, The Free Press, Glencoe, 1963.
- 49- Kormblum and Juien: Social Problems, 7th ed.,
- 50- Kroeber, A. : & Kluchhon, C., culture: A Critical Review of

Coceptsdn Definitions, New York, 1902.

- 01- Laland, Vocabulaire Technique et Critique de Philosophie, 1926.
- 02- Lapiet, R. T., A Theory of Social Control, New York, 1904.
- 03- Lewis, John and others, Criminology, 4th ed., Bombay, the time of India Press, 1969.
- 04- Linton, R. , The Study of Man, New York, 1936.
- 05- Louis Wirth: Urbanism as a way of life, American of Sociology, 4th July, 1938.
- 06- Lynncolandman: Birth cerntsolin India: The carrot and the Rod Family Planning Perspectives, 9 may, June, 1977.
- 07- Lundberg, G. Foundation of Sociology, McMillan, New York, 1969.
- 08- Mannel Castells: Theory in Urban Sociology, in Pichvanee(ed): sociology, critical essays, London, Tavistocks Publication Ltd., 1977.
- 09- Mannheim, K., Ideology and Utopia, London, 1936.
- 10- McLuhan, M., The Medium is the Message, An Inventory of Effects, Bantan Books, New York, 1967.
- 11- Merton, R., Social Theory and Social Structure, The Free Press. Gluncoe, 1907.
- 12- Murdock, J., Social Organization, New York., 1949.
- 13- Nesicomb, T.M., Social Organization, New York, 1949.
- 14- Ogrurn, W. & Nimcoff, A Handbook of sociology, London, 1908.

- ٦٥- Orgurn, W., Social Change, New York, ١٩٢٢.
- ٦٦- Pareto, V., The Mind of Society, Trans. By: Bogiorono, A. & Livingston, A., Harcourt, New York, ١٩٣٩.
- ٦٧- Park & Burgess Introduction to the Science of Sociology, Chicago, ١٩٢٤.
- ٦٨- Parsons, T., Essays in Sociology Theory, the Free Press, Glncoe, ١٩٤٩.
- ٦٩- Parsons, T. & Shills, E. A., ed. Toward a General Theory of Action, Harvard University Press, Cambridge. ١٩٥٩.
- ٧٠- Parsons, T., the Social System, New York, ١٩٧٢.
- ٧١- Paul, B. Horton Gerald, R. Jesile, and Richard F. Larson: The sociology of social problems, ١٠th ed., (Englewood Cliffs, N.Y., Prentice Hall), ١٩٩١.
- ٧٢- Radeliff-Brown, A., Structure and function in primitive society, London, ١٩٥٢.
- ٧٣- Reece, Mc Gee and others: Sociology an introduction, ٢nd ed., N.Y., Halt Reinhart and Winston, ١٩٨٠.
- ٧٤- R., L., Harton and R. H. Hermanson: Social problems, U.S.A, Learning System Co., ١٩٧٥.
- ٧٥- Rubin, B., Public Relations and the Empire Stat, Rutgers University Press, New Jersey, ١٩٥٨.
- ٧٦- Schramm, W., Mass communication, The university of Illinois Press, Urbana, ١٩٦٠.
- ٧٧- Schramm, W., Men, Message and Media, A book of human communication, Harper & Brothers, New York, ١٩٧٣.

- ୧୮- Schramm, W., & Roberts, The process and effects of mass communication, University of Illinois, Urbana, 1951.
- ୧୯- Serghienko and others: An introduction to sociology, 3rd ed., N.Y., McMillan Publishing Co., 1983.
- ୨୦- Selznick, P., Leadership in Administration, Evanston, 1957.
- ୨୧- Shepard, M., John and others: Social problems, U.S.A, McMillan Publishing Co., 1978.
- ୨୨- Sherif, M., Psychology of social norms, 1936.
- ୨୩- Sorokin, P., Social and cultural dynamics, Vol. II, New York, 1937.
- ୨୪- Spector, M. and Kittus, J.: Construction social problems, Chicago, Ad Linde, 1987.
- ୨୫- Steven Vago: Social Change, 2nd Ed., U.S.A., Prentice Hall Inc., 1989.
- ୨୬- Taylor, Primitive Culture, London 1951.
- ୨୭- Terroeu, F., L' Information, Pressuniversitaires de France, Paris, 1974.
- ୨୮- Weber, M. Bureaucracy, in: Gerth & Mill, ed., Oxford University Press, 1962.
- ୨୯- Whyte, J. ed., Review of Sociology, Analysis of a decade, N.Y., 1957.
- ୩୦- William Karnblum and Joseph Julian: Social problems, 1st ed., Englewood Cliffs, N.Y., Prentice, 1992.
- ୩୧- Winck, C., Dictionary of Anthropology, Paterson, The

United States of America, ١٩٦١.

٩٢- Wissler, C., Man and Culture, N.Y., ١٩٥٣.

٩٣- Wolff, K. H., The sociology of George Simmel, The Free Press, Glencoe, ١٩٥٠.

٩٤- Young, K., Social psychology, N.Y., ١٩٤٤.

ثالثاً: الدوريات والمجلات العلمية:

١- American Journal of Sociology, ١٩٥٩.

٢- American Sociology Review, Vol. XVI, ١٩٥١.

٣- Journal of the Royal Anthropological Institute, Vol., LXXIX, ١٩٥١.